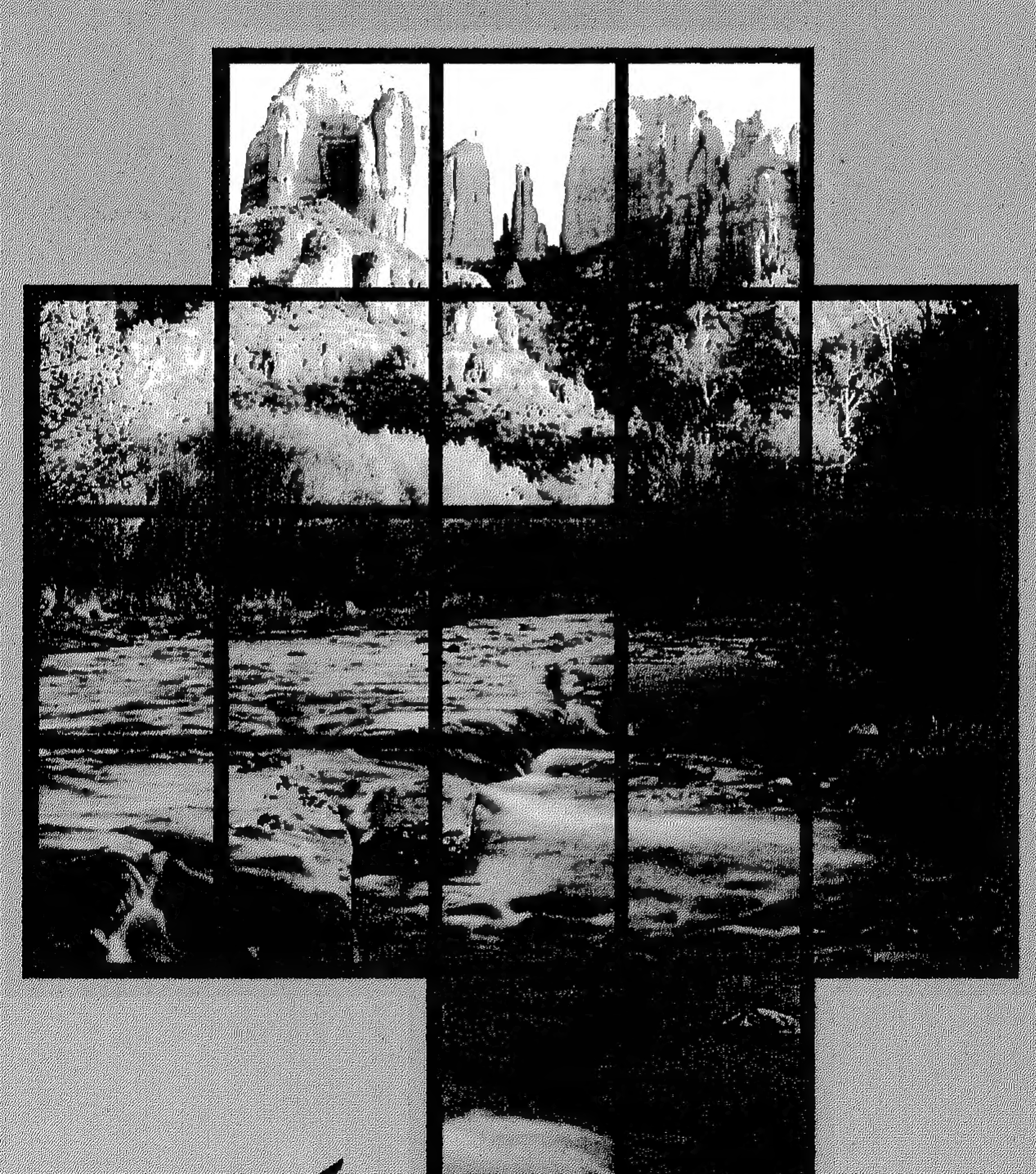
دار الثقافة

أسلوب يسوع فى القيادة



مايكل يوسف

اهداءات ٢٠٠١
دار الثقافة
الهيئة الإنجيلية والقبطية



بقلم

مايكل يوسف

ترجمة

القس باقي صدقه



طبعة ثانية

أسلوب يسوع في القيادة
صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨- القاهرة

١٠ /٤٧٠ ط٢/١-٦/٨٩-٩٨
رقم الإيداع بدار الكتاب: ١٤٥٣٨/ ٩٨
ISBN 977 - 213 - 451-9
طبع بمطبعة سيوبرس
تصميم الغلاف: امجد تناغو

مؤلف الكتاب

مؤلف الكتاب هو الدكتور القس مايكل يوسف وقد ولد المؤلف فى مصر وتربى فيها ثم هاجر وهو بعد فى مقتبل شبابه إلى استراليا ، حيث درس فى كلية اللاهوت فى مدينة Moore ورسم قساً فى الكنيسة الانجليكانية . وحصل فيما بعد على درجة الماجستير فى اللاهوت من كلية لاهوت فولر Fuller وعلى درجة الدكتوراه من جامعة امرى Emory فى اتلانتا .

عن المؤلف والكتاب

يقول الدكتور جون حجى : Dr.John E.Haggai

« يجمع الدكتور ميكل يوسف الى جانب تكريسه وولائه العميق للمسيح مقدرة علمية واختبارية وادراكا لمواقع القادة فى مختلف بقاع العالم ، مما يؤهله لأن يقدم لنا هذا الكتاب الشامل والجامع للفكر الكتابى الذى يتمركز المسيح فيه كقائد .

ولاشك أن تحليل المؤلف لنموذج يسوع فى القيادة مع امكانية تطبيقه عملياً بالنسبة لإحتياجات عصرنا يأتى فى وقت هام وخطير للغاية . إذ يبدو أن عصرنا قد تزاحمت فيه الأهواء ، وتوافقت فيه التقاليع ، وبدون ضوابط ، مما جعل الحاجة فيه ماسة إلى قيادات واعية تستطيع أن تنقذ المجتمع الإنسانى فى العالم كله من تيارات الهدم والتدمير .

ويقول الأستاذ الدكتور بول هيبرتProfessor Paul G, Hiebert « إن الكنيسة اليوم يتهددها خطر التطلع إلى العالم للإقتداء بنماذجه فى القيادة . وبحسب هذه النماذج تعتبر القوة والسيطرة هى المثل العليا . ولكن الدكتور ميكل يوسف فى هذا الكتاب الموجز الذى أجاد كتابته يحفزنا إلى العودة إلى نموذج المسيح فى القيادة المبنية على أساس الخدمة والإتضاع والبذل . ويندر أن تجد كتاباً كهذا يعالج هذا المجال الهام من مجالات حياتنا والذى يحتاج إلى فحص وامتحان فى نور التعليم الكتابى .إننى أزكى هذا الكتاب تزكية فائقة خصوصاً لأولئك الذين أوكل الرب إليهم الإهتمام بكنيسته » .

مقدمة

ماذا يلزمك لتكون قائداً حقيقياً؟

هل يتطلب الأمر أن تشعر بأهميتك وبضخامة ذاتك وشخصيتك ، وأن ترتدى حلة غالية الثمن ، وأن تكون لك قوة تكتيكية ، لكى تكون قائداً حقيقياً أصيلاً فى عمل ما ؟ وهل تحتاج إلى درجة علمية من كلية اللاهوت وإلى لسان فصيح لكى تكون قائداً ناجحاً فى الكنيسة ؟ وهل ينبغى أن تكون مرعباً ومخيفاً لكى تكون قائداً حقيقياً فى البيت ؟

يجيب الدكتور ميكل يوسف مؤلف هذا الكتاب بالنفى على كل هذه التساؤلات ، ويقول إن القيادة الحقيقية تتطلب دعوة وصفات يسوع المسيح .

وبالطبع لا يستطيع واحد منا أن يضاهى أو يعادل الراعى الصالح الأصلى ، ولكننا نستطيع أن نتعلم من مثاله كيف نحافظ على رعيتنا بطريقة أفضل . وقد بذل المؤلف جهده ، وهو يقوم بالفعل بإدارة منظمة تقدم خدماتها على مستوى عالمى ، وهو يدرس ويفحص ما دونه الإنجيل ، لكى يكتشف أسلوب القيادة الذى صاغه يسوع وتبناه . ونراه يقترح فى هذا الكتاب عدة مواصفات يحتاجها كل قائد يريد أن يتمثل بالمسيح فيها .

ولكن المؤلف لا يتوقف عند هذا الحد . بل إنه وهو يعتبر يسوع المثال والقياس نراه أيضاً يشرح كيف يواجه القادة التجارب والضغوط التى يتعرضون لها ، ومنها الذات والغضب والوحدة والتشككية ، والنقد واستخدام القوة ثم كيف يسلمون مشعل القيادة للآخرين .

إذا كنت تريد أن تصل الى درجة الإمتياز فى تنمية قدراتك القيادية ، فعليك أن تدقق النظر فى يسوع المسيح – أعظم قائد عاش على وجه الأرض .

محتويات الكتاب

الجزء الخامس : مستقبل القيادة

إهداء المؤلف لكتابه

إلى :

اليزابيث

وسارة

وناتاشا

ويشوع

ويوناثان

أسرتى وشركاء الخدمة معى

مايكل

الجزء الأول

بدايات القيادة

الفصل الأول
الحاجة إلى التأييد

كان أحد الأصدقاء من الرعاة يعظ للأطفال بينما كان يرتدى قميصا قميصا خاصاً تحت ردائه الرعوى (الروب). وفجأة صاح أمام الأطفال قائلاً : « أود أن أخبركم عن شيء ما لم أخبر به أحداً من قبل فى حياتى » . ثم فتح الروب وكشف عن قميصه وقال : « أنا (سوبرمان) – إنسان كامل ! » .

وضحك الأطفال ، وأخيراً صاح واحد منهم قائلاً : « إذا كنت سوبرمان بحق فعليك بالطيران إلى السقف !».

ثم استطرد الراعى يشرح ما قصده فقال إن كثيرين من الناس يدّعون أشياء كثيرة عن أنفسهم ، ولكن المشكلة هى أننى إذا زعمت بأنى سوبرمان فإن علىّ أن أبرهن على صدق زعمى هذا » .

وهذا الكلام ينطبق على القيادة إيضاً . فعندما يعلن الناس أنهم قادة عليهم أن يبرهنوا على صدق دعواهم . إنهم يحتاجون إلى تأييد ومساندة الآخرين لهم إذ يقولون : « نعم ، هذا الإنسان قائد فعلاً » . حتى يسوع نفسه كان لابد أن يبرهن على ذلك قبل أن يتبعه الآخرون . وبمجرد أن تعرف عليه عدد قليل بإعتباره المسيا ، صاروا شهوداً له وأكدوا أنه المسيا .

وقد أوضحت لنا بشارة يوحنا أن يسوع قدم مراراً وتكراراً عدة تأكيدات على صدق دعواه . فلم يكتف البشير بأن يذكر معجزاته ، بل أشار إلى أدلة أخرى أساسية أكثر من المعجزات . وهناك فى هذه البشارة على الأقل سبعه تأكيدات مختلفة إذا فحصناها جيداً تمكنا من اكتشاف كيفية تطبيقها على القيادة فى كنائسنا اليوم ، بل وفى دوائر العمل والمنظمات الأخرى .

الشاهد الأول : الآب

الله الآب نفسه أرسل يسوع المسيح كمخلص العالم . وقال الرب لسامعيه « والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى » يو ٥ : ٣٧.

ولم يقدم الآب شهادته فى الخفاء ، ولكنه سر أن يؤيد قيادة يسوع علانية فور معمودية يسوع من يوحنا . « فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه . وصوت من السموات قائلاً هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » . مت ٣: ١٦،١٧ .

وهكذا صرح الآب علانية للعالم ، وفى حضور يوحنا والآخرين الذين جاءوا ليعتمدوا منه ، عن الرباط الوثيق بينه وبين المسيح . وما أبعد الفرق بين هذا المشهد وبين آخرين زعموا أن الله تحدث إليهم وحدهم حديثاً سرياً دون أن يسمع أى إنسان آخر هذا الحديث المزعوم .

ولم يكن يسوع مضطراً أن يخبر العالم بنفسه عن حقه فى أن يكون قائداً. لقد فعل الآب ذلك علانية .

وفى مناسبة أخرى ، أخذ يسوع ثلاثة من أقرب التلاميذ إليه إلى مكان عرف فيما بعد بجبل التجلى (مر ٩ : ٢ — ٨) . وقد رأوا هناك تأكيداً وتأييداً آخر عندما كان يسوع يتحدث مع موسى وإيليا .

وهكذا لم يكن يسوع هو القائد الذى أعلن عن ذاته ، بل إنه بدأ بأعظم الشهود — ولم يتوقف هناك .

الشاهد الثانى : يوحنا المعمدان

عمد يوحنا يسوع ورأى الروح القدس نازلاً مثل حمامة ، كما قال يسوع عنه « أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق . وأنا لا أقبل شهادة من إنسان .

ولكنى أقول هذا لتخلصوا أنتم ».(يو ٥ : ٣٣ ، ٣٤).

وأعلن« الصوت الصارخ فى البرية » تأييده للرب عندما التقى به فى بيت عنيا عبر الأردن ، فعندما نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه قال :« هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم . هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى رجل صار قدامى لأنه كان قبلى . وأنا لم أكن أعرفه . لكن ليُظهر لإسرائيل لذلك جئت أعمد بالماء » (يو ١:٢٩ - ٣٣)

ولم يكن يوحنا المعمدان مجرد بشير ، بل كان رجلاً واعياً بخدمته الفريدة – وهى تقديم شخصية يسوع المسيح للعالم .

الشاهد الثالث : المسيح نفسه

قد يبدو غريباً أن يسوع يعتبر نفسه مؤيداً ومثبتاً لخدمته الخاصة . ولكنه بعد الإشارة لأبيه وليوحنا المعمدان نراه يضيف قائلاً : « وأما أنا فلى شهادة أعظم من يوحنا » يو ٥ : ٣٦.

وفى مناسبة أخرى قال يسوع : « أنا والآب واحد » (يو ١٠:٣٠). ولقد فهمه سامعوه تماماً وحاولوا أن يرجموه « فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً » يو ١٠:٣٣ . وقال فيما بعد أن من رآه فقد رأى الآب (يو ١٤:٧).

ولم يكن فى أقوال يسوع وحدها ما يؤيد دعواه بأن له علاقة فريدة مع الله ، بل إن كل شىء فى حياته كان يؤكد هذه الحقيقة ويدعمها . فبدون أية ألاعيب أو وعود براقة لجعل تابعيه أثرياء أو أقوياء ، أوضح للجميع أنه كان قائداً ينبغى أن يتبع .

الشاهد الرابع : الروح القدس

كما سبقت الإشارة فإن الروح القدس قد بارك معمودية يسوع بأن نزل على يسوع واستقر عليه (يو ١:٣٤).

ومع أننا قد لا نستطيع أن نفهم تماما ما حدث بسبب رموز اللغة وتشبيهاتها ، إلا أننا نعرف على وجه التأكيد أن روح الله قد أيد وثبت خدمة وقيادة يسوع المسيح . (مت ٧:٢٩ ؛ مرا ٢٢:٢٧،٢٢ ؛ لو ٤:٣٦).

الشاهد الخامس : كلمة الله

أيد العهد القديم خدمة يسوع ، فإن الأنبياء تنبأوا بمجيئه ، وبخدمته ، وبموته . وصور إشعياء بصفة خاصة ميلاده (إش ٩:٦) وآلامه (٥٣ :٤ - ١٠) وخدمته (٤٢ :١ - ٤) ؛ بل إنه ذكر أيضاً أن شخصاً سيأتي قبله ليعلن عنه (٤٠ :٣).

وأجاب يسوع قادة اليهود الذين كانوا يجادلونه : « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية . وهى التى تشهد لى . ولا تريدون أن تأتوا إلىّ لتكون لكم حياة » (يو ٥:٣٩ - ٤٠)

الشاهد السادس : المعجزات

لقد تأيدت خدمة يسوع من خلال المعجزات التى أجراها . وقد دعاها انجيل يوحنا « آيات ». ومع أن ما ذكر منها فى إنجيل يوحنا هو أقل مما ذكره كتّاب البشائر الآخرون ، إلا أن الآيات أو المعجزات التى ذكرها يوحنا فى بشارته تشهد عن قوة يسوع وعن قصده منها . فإن المسيح ، على أية حال ، لم يجر هذه المعجزات كأنها أعمال استعراض للقوة يبهر الناس . ولا يمكن لشخص أنانى معجب بذاته أن يجرى بعض معجزاته المذهلة بعيداً عن الجموع ، أما يسوع فكان يوصى أولئك الذين شفاهم بألا يخبروا الآخرين . فعلى سبيل المثال ، كان هناك عدد قليل من شهود العيان الذين رأوا معجزة شفاء الإنسان المريض عند بركة بيت حسدا (يو٥) أو الإنسان الأعمى منذ ولادته (يو ٩) . وهذه الحقيقة تؤيد كلامه « مجداً من الناس لست أقبل » يو ٥:٤١.

الشاهد السابع : التلاميذ

لقد تجول التلاميذ مع يسوع خلال خدمته على الأرض ، ورأوا ما

فعله ، وسمعوا تعاليمه ، وآمنوا . ولما بدأ قادة الدين يضطهدون الرب ، وتكلم بصراحة عن الصعاب التى تواجه من يتبعونه ، فإن كثيرين ممن كانوا سيصيرون له تلاميذ تحولوا عنه وتركوه .

أما أولئك الذين بقوا مع المسيح ، ومن بينهم بطرس ، فقد قالوا :« كلام الحياة الأبدية عندك » (يو ٦:٦٨) ولم يكن بطرس يعنى بهذا أن يسوع كان يعرف قواعد الحياة أو طريق الحياة فحسب ، بل كان يعنى أن يسوع هو واهب الحياة الأبدية . ويختتم الرسول يوحنا بشارته بقوله إنه يشهد بهذا— أى إنه يؤيد حياة يسوع وخدمته . (يو ٢١:٢٤).

قادة اليوم :

ونحن الذين ندخل ميدان القيادة اليوم ، قد يصعب علينا أن نفعل ما فعله يسوع بهذه المؤهلات الفريدة التى تميز بها يسوع المسيح ، ولكننا نستطيع أن نتعلم هذا المبدأ من حياته : إن دعوى القيادة لابد أن تتأيد . ترى ماذا نظن لو أن إنساناً غريباً دخل إلى مكان العبادة أثناء الخدمة الدينية ثم توجه مباشرة الى المنبر وقال للناس :« جئت إليكم لأقودكم إلى الحق »؟ وبالرغم من غرابة هذا التصرف ، كيف نعرف من هو هذا الشخص ؟ وكيف نعرف أنه كان على حق فى دعواه هذه ؟ وقد نسأله بسرعة : بأى حق وبأى سلطان تتكلم هكذا ؟ وحتى إذا لم نسأله على هذا النحو فإنه من الطبيعى أن نتطلب منه تأييداً لزعمه أو تأكيداً لصدق ادعائه .

لقد وضعت معظم الطوائف نظماً أو لوائح معينة لرسامة قادتها أو على الأقل للإعتراف بهم . وهم يدركون أنه بينما يتدرب الناس على القيادة فإن الله وحده هو الذى يدعو . أما الكنيسة فإنها الهيئة التى تؤيد وتعضد الذين يدعوهم الله . وتبدأ هذه العملية عادة عندما ينمو الناس فى مجالات القيادة فى المجتمعات المحلية ويتعرف الأعضاء على السمات المميزة التى يتفرد بها هؤلاء القادة . وقد

يؤيد مجلس الكنيسة مثل هؤلاء الأفراد عندما يعلنون نواياهم للتفرغ للخدمة الدينية . وإذا كان للكنيسة متطلبات خاصة بالمستوى التعليمى للقادة ، فإن معهدها العلمى ينبغى أيضاً أن يؤيد مثل هذه الدعوة .

بل إن القادة الروحيين ينبغى – بشكل ما – أن يتأيدوا أيضاً من جانب الناس خارج الكنيسة . وفى هذا ينصح الرسول بولس تلميذه تيموثاوس فيما يختص بالرسامة قائلا عن المزمع أن يكون قائداً « ويجب أيضاً أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج لئلا يسقط فى تعيير وفخ إبليس ». (١ تى ٣:٧) .

وينطبق شرط التأييد على أى نوع من أنواع القيادة ، فى ميدان العمل التجارى أو فى الكنيسة أو فى البيت أو أية مجالات أخرى . وبعبارة أخرى ينبغى أن يحصل الناس على حق القيادة . فقد أعتقد شخصياً مثلا أننى مدعو – بتعيين إلهى – أن أكون رئيسا لإحدى كبريات النقابات أو المؤسسات العالمية ، ولكن ما هو التأييد أو الإثبات لذلك إذا أنا تقدمت للمكتب الرئيسى لأباشر هذه السلطات التى أزعمها لنفسى ؟

إننى أحتاج أن أثبت قدرتى وكفاءتى . قد يتطلب الأمر أن أبدأ من القاعدة ، من أول السلم ، وكما حدث لقادة كثيرين ، قد أصعد بسرعة إلى قمة الشركة أو المؤسسة التى بدأت العمل فيها من أول السلم . الا أننى لكى أحقق ذلك أحتاج الى مهارة خاصة وقدرة على الإبتكار والإبداع ، كما أحتاج إلى شخص أو جماعة تقف خلفى وتدفعنى إلى الأمام وتساندنى وتؤيدنى بموافقتها فى كل درجة أصعدها الى فوق .

ومع ذلك هناك بعض الناس داخل الكنيسة وخارجها ممن يحاولون أن يقفزوا الى القمة مباشرة . وقد رأيت كثيرين من المرشحين لوظائف إدارية أو للرسامة للتفرغ للخدمة الدينية الذين كانوا – بكل اعتزاز – يصرون على

أنهم يحملون المؤهلات اللازمة للوظيفة أو العمل .وأذكر أن واحداً من هؤلاء كان متقدماً للرسامة ، وعندما رفضته لجنة الفحص اتهمها بأنها « ضد الله» ، مع أن كل أعضاء اللجنة كانوا من أصدقائه الذين حاولوا بكل جهد أن يجدوا من المبررات ما يؤيد ادعاءه بدعوة الله له ، ولكنهم لم يجدوا ، بل بالعكس وجدوا عدة شوائب وعيوب تحول دون إتمام رغبته .

وقد حدث أنى عينت بعض الموظفين « التنفيذيين » الذين جاءوا بكل « الشهادات وأوراق التزكية المناسبة » ولكنهم أثبتوا فيما بعد عدم القدرة على القيادة إطلاقاً . وهؤلاء كان يعوزهم الأهلية أو الصلاحية كما كان يعوزهم أيضاً تأييد الآخرين . وتعلمت من ذلك أن أستبعد هؤلاء المدعين من مرحلة المقابلة الأولى ، وكانت العلامة الأولى تظهر بمجرد أن يخبرك هذا المرشح كيف أنه سينقذ المؤسسة ، أو أنها فى مسيس الحاجة الى شخص فى مثل كفاءته النادرة . وكان هذا بمثابة النور الأحمر الذى يبين أن مثل هذا الشخص يفتقر الى التأييد الإلهى . وهكذا نكون قد أثبتنا المبدأ الأول للقيادة ...الذى نتعلمه من حياة يسوع وهو أن :

المبدأ الأول

تأكدت إرسالية يسوع قبل أن يبدأ القيادة وهذا ما يجب أن نفعله .

الفصل الثانى

الإعتراف بفضل الذين سبقونا

فى حفل أقيم لتوزيع الجوائز على مجموعة من المتفوقين ألقى الفائز الأول كلمة استغرقت عدة دقائق شكر فيها الناس الذين ساعدوه على التفوق والحصول على الجائزة — شكر معلميه وعائلته وأصدقاءه وأربعة عشر عضواً من الجماعة التى كان ينتمى إليها .

وعندما جاء دور الفائز الثانى ليتسلم الجائزة ألقى كلمة موجزة قال فيها : « أشكركم لتقديركم لى ومنحى هذه الجائزة . وأود أن أقول لكم إننى فعلت كل شيء بنفسى ولست مديناً لأحد » .

ومع أن الرجل الثانى كان بلا شك مازحاً فى كلامه ، الا أن كلماته تذكرنا بكثيرين ممن هم فى مواقع القيادة اليوم ، الذين إذا حققوا أية نتائج فإنهم ينسبون الفضل لأنفسهم . وحتى إذا لو يصوغوا هذه المشاعر فى كلمات فإن كلا منهم يفكر فى نفسه بنفس هذا الأسلوب « لقد فعلت كل شيء بنفسى » . ولكنهم بالتأكيد مخطئون ، إذ لا يوجد منا من يستطيع أن يحقق كل شيء وحده . لا بد أننا تأثرنا بالآخرين أو تلقينا مساعدة منهم .

عمالقة الماضى :

قال اسحق نيوتن :« إذا كنت قد استطعت أن أرى أبعد مما يراه الرجال الآخرون فإن السبب هو أننى وقفت على أكتاف العمالقة ».

لقع اعترف اسحق نيوتن بفضل أولئك الرواد الذين مهدوا الطريق أمامه . ومع أنه حصل بجدارة على لقب « أبو الفيزياء » إلا أنه لم يفعل ذلك وحده .

سأظل أذكر دائما شيئاً قاله لى أحد أساتذتى : « عندما تقوم بعمل بحث ما ، حاول أن تبحث عن اسم شخص أو أكثر ممن يعتبرون حجة فى ميدان هذا البحث . فلابد أن هؤلاء الأشخاص قد وضعوا أسساً أو قواعد فى هذا الميدان . ولا بد أن آخرين قد بنوا على هذا الأساس أو ربما حاولوا أن يبنوا بطريقة أخرى مختلفة . وحتى بناة الطريقة المختلفة أو المعارضة لابد أن يعترفوا بفضل الأساس الأصلى .

وهذه ميزة للقيادة الجيدة . إنها تعترف بإنجازاتها بأمانة وبإخلاص ، وتقول : « لم يكن فى وسعى أن افعل ذلك وحدى ».

إعترافاتى الشخصية بفضل الآخرين :

فأنا مثلاً ، قد حصلت على الدكتوراه ، وكان ذلك بفضل كثيرين من الناس الذين ساعدونى . وقبل كل شىء ، أنا مدين بإيمانى للنشأة الدينية التى كان الفضل فيها لأمى ، التى كانت تصلى لأجلى وتصلى معى بحرارة .

وعندما بلغت الحادية والعشرين من عمرى هاجرت من مصر الى سيدنى باستراليا . وكنت غريباً هناك ، لا أعرف إلا أسرة واحدة فقط ، وكان معى خطاب توصية الى أسقف انجليكانى اسمه د . و . ب روبنسون ، الذى أصبح فيما بعد رئيس أساقفة سيدنى. وعن طريق تشجيع ومعاونة رئيس الأساقفة روبنسون استطعت أن أتغلب على صعوبة الحديث باللغة الإنجليزية بالكفاءة المطلوبة . وفى الحقيقة لولا تشجيع هذا الرجل لى لما إستطعت أن أدرس فى كلية لاهوت مور Moore Theological College .

ثم التقيت بجون حجى الذى وثق فىّ وطلب منى أن أرأس الخدمة المتسعة التى أسسها فى العالم والتى لها مكاتب فى ست قارات . ولما فعلت هذا أحسست أن ذلك قد ساعدنى – فى خلال ثمانى سنوات – على النمو بما يعادل خمسين سنة من النضوج . وبمعونة الرب ، استطعت أن أقود هذه المنظمة وأن أدرس للدكتوراه وأن أكتب كتبا – كل ذلك فى وقت واحد .

وفى خلال ذلك كله ، كان إلى جانبى شريك وثقت به كل الثقة ، هى زوجتى إليزابيث ، التى أعطتنى الحب والمعونة والتشجيع . وعندما كنت أسافر الى ما وراء البحار أو أبقى ساهراً للدراسة إلى ساعة متأخرة من المساء كانت هى بالنسبة لأطفالنا الأربعة الأم والأب معاً .

وإذ وقفت على أكتاف « العمالقة » الذين أشرت إليهم ، شعرت بأنه لم يكن هناك شيء يصعب علىّ عمله . إننى مدين كثيراً لأولئك الأربعة ولآخرين كثيرين . ولا يمكن أن أنسى أو أنكر فضلهم أو تأثيرهم على حياتى وخدمتى .

رواد من الكتاب المقدس :

عندما أخبر يسوع تلاميذه بأن الحقول قد ابيضت للحصاد ، من الواضح أنه كان يستخدم هذه العبارة كرمز للإستعداد الروحى . وأضاف يقول :
« والحاصد يأخذ أجرة ويجمع ثمراً للحياة الأبدية لكى يفرح الزارع والحاصد معا . لأنه فى هذا يصدق القول إن واحداً يزرع وآخر يحصد . أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه . آخرون تعبوا وأنتم قد دخلتم على تعبهم » يو ٤:٣٦ –٣٨.

وهنا نرى أن يسوع أراد أن يعرف تلاميذه أنهم مدينون بالشكر والعرفان لأولئك الذين تعبوا قبلهم . بل كان يمكن أن يذكرهم بأن الأرض التى كانوا واقفين عليها دخلوها بفضل كفاح وجهاد يشوع ومعه أناس أمناء . وكان فى وسعه أيضاً أن يذكرهم بالربيين والقادة الآخرين الذين حافظوا على الإيمان اليهودى وعلموا الناس .

وعندما كتب الرسول بولس الى الكورنثيين كان فى ذهنه فكرة مماثلة ، فقد كان الكورنثيون قد بدأوا يرفعون القادة الذين أحبوهم ويضعون أنفسهم فى مصافهم .

«فمن هو بولس ومن هو أبلوس . بل خادمان آمنتم بواسطتهما وكما أعطى

الرب لكل واحد . أنا غرست وأبلوس سقى لكن الله كان ينمى . إذاً ليس الغارس شيئاً ولا الساقى بل الله الذى ينمى . والغارس والساقى هما واحد ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه . فإننا نحن عاملان مع الله .. » ١ كو ٣:٥ — ٩.

ولم يبدأ يسوع خدمته ، إلا بعد أن أعد له يوحنا المعمدان الطريق . وكان بطرس يشعر أنه مدين باتصاله بيسوع لأخيه أندراوس الذى كان قد دعاه أن يتبع الرب أيضاً . ويشير سفر الأعمال إلى أن استشهاد استفانوس كان له تأثير قوى على بولس ، وأن هذا مهد الطريق لتجديده .

الإعتماد المتبادل :

لماذا أرسل يسوع تابعيه ، بعد تدريبهم ، إثنين إثنين ؟ (لو ١٠:١). من الواضح أن وجود شخص آخر مع المسافر يشجعه فى المكان الغريب . ولكنى أتساءل عما إذا كان فى ذهن يسوع سبب آخر .

لو أن بطرس قام بمفرده بزيارة مدينة ، ربما كان يعود قائلاً : « انظر ماذا فعلت » ؟ أيمكن أن يكون يسوع قد أراد لتابعيه من البداية أن يشعر كل منهم بالحاجة إلى الإعتماد على الآخر — وإلى الإعتماد على ربهم ؟ بل وربما كان يريد أيضاً أن يعدهم لفكرة « الجسد الواحد فى المسيح ». وكانت كتابات بولس فيما بعد تقدم الدعوة للكنيسة باستمرار للعودة الى ذلك المفهوم . (رو١٢:٣ — ٨، ١كو ١٢:١٢).

وكان يسوع نفسه يستطيع أن ينسب لنفسه الفضل فى عمل كل شيء منذ الخليقة وما بعدها . ولكنه تقبل وأقر إشارات اليهود الى إبراهيم بإعتباره أبو الأمة العبرانية (يو٨:٥٣).

لو أن بعضاً منا جاء كمخلص العالم ، ربما كنا نتنكر لفضل الذين

سبقونا ، ومن المحتمل أن يقول الواحد منا شيئاً كهذا « كان موسى رجلاً طيباً ، حسناً ، ولكنه غضب وعصى ، وكان لا بد أن ينال قصاص الله . وإبراهيم الرجل الطيب المتقدم فى السن عمل أشياء كثيرة طيبة ، ولكن كانت له لحظات ضعف ، فقدخاف مرة من فرعون حتى أنه قال عن سارة إنها أخته ! أما أنا فإنى أختلف عن هؤلاء .

كيف نعترف بفضل الآخرين :

إذا أردنا أن نتبع يسوع المسيح كقادة ، علينا أن نعترف بفضل الآخرين كما فعل يسوع . وقد يساعدنا أن نتذكر الحقائق التالية :

١ - كل كفاءة أو موهبة هى عطية الله . وقد عبر يوحنا المعمدان عن ذلك تعبيرا حسناعندما قال : « لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أعطى من السماء » (يو ٣:٢٧). لقد أدرك يوحنا أنه لم يرسل نفسه كبشير قدام الرب ، ولكن الرب نفسه قد كلفه بذلك .

إن إدراكنا أن ما لدينا من قدرة على القيادة إنما يعود الفضل فيه الى الله يحفظنا دائما فى روح الإتضاع .

وعندما كتب الرسول بولس عن المواهب الروحية (١كو١٢) ، استخدم نفس المبدأ . فبغض النظر عن نوعية هذه المواهب التى كانت عند الكورنثيين ، المهم أنها كانت كلها من الله ، فلم يخترعوا هم المواهب ، ولا كان فى إمكانهم أن يمنحوها لأنفسهم .

٢ - نحن لم نفعل شيئاً لإكتساب قدراتنا أو مهاراتنا القيادية. فالإنسان لا يكتسب هدية . والحصول على مهارة أو كفاءة القيادة أمر لا يعود إلى استحقاقنا لذلك ، ولكنها مجرد النعمة الإلهية .

٣ - هذه الهدية لا ينبغى أن تكون سبباً لافتخارنا . فالله يعطى شخصاً ما القدرة على القيادة ، بينما يعطى شخصاً آخر الموهبة التى بها

يتعرف على القادة الصالحين لكى يتبعهم . وبعض الناس لهم مهارات يدوية ، بينما يتميز أناس آخرون بقدرات كلامية أو فكرية أعمق من نظرائهم . لكن ليس من حق هؤلاء أو أولئك أن يتفاخروا بالمواهب التى منحت لهم .

٤ — ينبغى أن نعترف بفضل أولئك الذين ساعدونا على صقل مهاراتنا ومواهبنا . فإن الرياضيين فى الألعاب الأوليمبية يبدأون بوزنات أو مواهب بارزة ، ولكن بالنسبة لهم هذا لا يكفى : إنهم يحتاجون للمعاونة ، وللتدريب ، وللتقويم . فرافع الأثقال يحتاج الى مدرب لكى يعلمه كيف يتنفس بطريقة صحيحة ، والفتاة التى تشترك فى سباق الجرى تحتاج من يعلمها كيف تستخدم مقدم حذائها بخفة لتستفيد بكل ثانية نفيسة من وقت السباق .

والقادة ينطبق عليهم نفس الكلام . فأنا أعلم أننى كنت أحتاج الى المعاونة كل الطريق . لابد أن شخصاً ما قد رأى فىّ ومضة استعداد أو قابلية للقيادة وشجعها ، بينما علمنى آخرون دروساً إضافية .

٥ — ينبغى أن نقدم الشكر لله لأجل مواهبنا وقدراتنا . فطالما أنى أدرك أن قدرتى على القيادة لم يكن لى فضل فى خلقها أو إنشائها فىّ ، أستطيع أن أتوقف بإنتظام لأشكر الله الذى صاغنى وجعلنى كما أنا ..

لى صديق كاتب يعتبر الشكر لأجل مواهبه جزءاً من صلواته اليومية . فكان يقول فى صلاته شيئاً كهذا : « أشكرك يارب لأنك جعلتنى كاتباً . ساعدنى لإستخدام الوزنة التى أعطيتنى بقدر إمكانى لكى أكون أفضل كاتب ».

وصديقى هذا يعرف أنه ينبغى أن يعمل ما فى وسعه لكى يصقل موهبته . ففى صباه كان يقرأ كل ما كان يقدم له . وبالتدريج بدأ يتعلم كيف يميز بين الكتابة الجيدة والكتابة الفقيرة ، وبين الكتابة الأحسن والكتابة المتوسطة . ولما بدأ يكتب كان يستعين بالدروس التى كان قد تعلمها عبر السنين وهو يمعن التأمل فى الكتابات البليغة التى سبق أن قرأها للكتّاب المجيدين .

بمثل هذا الإتجاه كان هذا الكاتب يعترف بفضل الله الذى أنشأ فيه

المقدرة على الكتابة ، وبفضل العمالقة الذين حملوه على أكتافهم وعاونوه .

وهكذا نكون قد أوضحنا أن :

المبدأ الثانى

القادة يعترفون بفضل العمالقة الذين سبقوهم .

الجزء الثانى

مواصفات القيادة

الفصل الثالث

القائد كراعٍ

عند خروجي مع « بوب جايتون » – المدير التنفيذى لمؤسسة كبرى للبنوك – من قاعة الطعام عقب تناولنا الغذاء معاً مررنا بطاقم من الموظفين فى مكاتبهم . وإذا بالمدير يتوقف مرة ليحيى موظفة الإستقبال ليسأل عن زوجها الذى كان قد علم أنه مريض . وبعد ذلك ، عندما كنا خارجين من المصعد رأيته يحيى ، وبالأسماء ، اثنين من موظفى البنك كانا منتظرين عند باب المصعد . وأخيراً رأيته أمام البنك يحيى الحارس بإسمه ويسأل عن سلامة زوجته ، بالإسم أيضاً .

لابد أن مئات من الموظفين كانوا يعملون فى هذا البنك الكبير ، ومع ذلك فإن هذا المدير الكبير كان يعرف كل واحد باسمه . وكنت منذهلا ، ليس فقط لأنه كان يملك ذاكرة قوية كهذه ، ولكن لأنه فى الواقع كان يعرف كل هذه الأسماء . أى أنه لم يكن يعرف فقط كبار الموظفين التنفيذيين ، ولكنه كان أيضاً يعرف صغار الموظفين الذين ربما لم يكن يعبأ أحد بهم . وقد أدركت من ملاحظاته وتعليقاته أنه كان يعرف أكثر من مجرد أسمائهم . إنه كان يعرفهم كأشخاص ، وكأفراد لهم شخصياتهم ومشاكلهم المختلفة والمتنوعة .

ولهذا أذكر دائماً « بوب جايتون » كقائد صالح يرعى موظفيه. قال يسوع : « أما أنا فإنى الراعى الصالح . وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى . كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب . وأنا أضع نفسى عن الخراف » يو ١٠ : ١٤، ١٥ .

معرفة الرعية :

كان هذا المدير المشغول جداً يعرف « رعيته » . وبرهن على ذلك باهتمامه الأمين والمخلص بهم وبعائلاتهم . ومع أنى أعرف ذكاء وفطنة هذا القائد فى عمله منذ مدة طويلة ، إلا أن هذه الوقائع جعلتنى أقدره تقديراً كبيراً .

وعكس هذا، ما حدث فى مناسبة أخرى إذ رأيت عينة مختلفة تماما من « الراعى » . حدث فى أحد أيام الآحاد أنى وقفت بجوار راعى إحدى الكنائس الفخمة ، عقب إنتهاء الاجتماع . وكان الراعى يسلم على كل واحد من الرعية عند خروجهم ويحيى كلا منهم بابتسامة عريضة وبحرارة قائلاً له:« أهلاً.كيف حالك » . وقبل أن يجيب الأخ أو الأخت على تحية الراعى يكون الراعى قد قال « حسناً » ثم يسلم على الشخص الذى يليه بنفس العبارة والابتسامة ، حتى جاء دور سيدة متقدمة فى السن فحياها الراعى قائلاً :« أرجو أن تكون ظروفك اليوم طيبة » . وبسرعة أجابته السيدة بوجه حزين قائلة : « زوجى أصيب بمرض مفاجىء فى منتصف ليلة يوم الخميس وحملته عربة الإسعاف إلى المستشفى وهو لا يزال فى غرفة العناية المركزة ».

ولم تكد السيدة تكمل كلامها حتى كان الراعى قد قال لها بنفس الحرارة والابتسامة العريضة :« أنا سعيد أن أراك هذا الصباح . يسعدنا أن تحضرى الخدمة الدينية معنا» . وتحولت يده بسرعة للسلام على الشخص التالى فى صف الخارجين من الكنيسة .

وبالكاد استطعت أن أصدق ما كنت أسمع . وشعرت بالإرتباك والحيرة لأن الراعى لم يكن منصتاً الى تلك السيدة ، وصدمت لتصرف الراعى معها على هذا النحو بدون وعى أو تأثر أو إحساس . وحاولت بكل تردد أن أصلح الموقف ، خصوصاً وأننى كزائر لم يكن ينبغى أن أتدخل أكثر من اللازم . فسألت السيدة :« ما اسم زوجك ؟ أننى أود أن أذكره فى صلاتى

كل يوم خلال الأسبوع القادم » .

ولا أقصد بهذا أننى أدين هذا الراعى . فمن المحتمل أن راعٍ كهذا يرعى كنيسة يتردد عليها أكثر من ألفى شخص إلى جانب المسئوليات الأخرى التى يحملها ، يصعب عليه أن يعرف كل شخص من طابور الناس الذين يحييهم عقب الاجتماع . وربما كان فى ذلك اليوم مهموماً بسبب مشاكل شخصية أو قلقاً بسبب شيء معين يتوقع حدوثه . ولكننى على أية حال غادرت الكنيسة ولدىّ انطباع مختلف تماماً عن ذاك الذى تركه فىّ مدير البنك .

لقد كان مدير البنك يعرف « رعيته » ، بينما لم يكن « الراعى » يعرف شعبه أو رعيته ، والأسوأ من ذلك ، أنه لم يكن يكترث كثيراً بهذا القصور فى خدمته .

عندما كان يسوع يتحدث عن علاقته بخرافه أى برعيته ، أعطى الانطباع أنه كان يعرف عنهم أكثر من مجرد أسمائهم . فبالنسبة ليسوع ، كانت معرفته بخرافه ، وبرعيته تعنى أنه كان يحبهم أيضاً .

الرعاة غير المحبين :

إن القلوب غير المحبة لا يمكن أن تعرف الخراف . والرعاة غير المحبين ينظرون إلى خرافهم كمجرد أرقام فى السجل ، أو أعضاء مدونين فى كتاب ، أو موظفين فى كشف المرتبات ، أو إحصائيات تستخدم للتفاخر . ومثل هؤلاء الرعاة يشيرون إلى رعيتهم على هذا النحو :

* زادت العضوية عندنا هذا العام بنسبة عشرين فى المائة .
* لدينا عدد من الموظفين أكثر من أقرب منافس لنا ونقوم بعمل أكثر منه .
* ٨٣ ٪ من السكان يعرفون منتجات شركتنا وقس على ذلك ...

نحن نعيش فى مجتمع ينبر باهتمام بالغ على الأرقام . وتقوم برامج التلفزيون بحجم جمهور المشاهدين ، ويقيس الناس حسنات الكنيسة المحلية

بقدر حجمها ، ويقدر نجاح أى شركة بمدى الزيادة التى يشير إليها تقريرها بالقياس إلى التقرير السابق .

ونتيجة لهذا كله فإن نوعية برامج التليفزيون تخضع لنسبة عدد المشاهدين ، وبالنسبة للكنيسة يبدو التعليم والشركة الروحية والعبادة أقل أهمية من عدد الأعضاء ونسبة الزيادة فى العضوية ، وتأتى نوعية منتجات الشركة التجارية فى المرتبة التالية بالنسبة للأرباح التى تجنيها الشركة .

أسلوب يسوع :

لا يمكن للإحصائيات أن تصل إلى قياس أسلوب يسوع فى القيادة . ذلك لأنه يعرف خرافه معرفة وثيقة حميمة ومحبته لخرافه ليست مجرد فكرة معنوية ، ولا يمكن أن تستبدل بمجرد « اكليشيه » يحمل عبارة :« أنا أحب شعبى ». فبينما يحب خرافه محبة جماعية ، إلا أنه يظل إيضاً يحب كل فرد على حدة . إنه يعرف قطيعه لأنه يعرف كل عضو فيه .

وكيف تعرف خراف يسوع شخصه ؟إنها لا تعرفه بمحض الصدفة ، ولا بالعقل وحده ، ولا بفهم حقائق معينة عن قيادته ، ولكن بالإحساس والشعور بمحبة الراعى المتجهة نحوها .وكأحد الرعية قد يتطرق إلىّ الشك والخوف أحياناً ولكن عندما أبصر القائد – الراعى – تتبدد شكوكى ومخاوفى ، وأتجاوب تلقائياً لعاطفة الراعى واهتمامه .

تأمل علاقة الرعاة بالخراف فى زمن يسوع . كان الرعاة يهتمون بسلامة الخراف قبل اهتمامهم بسلامتهم الشخصية . وفى العهد القديم ، مثلاً ، حارب داود أسداً وقتله بيديه لأن هذا الوحش المفترس حاول أن يهاجم خرافه . فعندما نفهم مثل هذا الالتزام العميق من جانب الرعاة تجاه قطعانهم ، ندرك بعمق أكثر مغزى كلمات يسوع عندما دعا نفسه راع .

كان الراعى الصالح يهتم باحتياجات خرافه أولاً وقبل كل شىء إلى الدرجة

التى كان فيها مستعداً أن يبذل نفسه وحياته لأجلها . وقد اقتبس يسوع كلمات سفر زكريا ١٣:٧ عندما تنبأ لتلاميذه عن موته فقال « كلكم تشكّون فىّ فى هذه الليلة لأنه مكتوب إنى أضرب الراعى فتتبدد خراف الرعية » (مت ٢٦:٣١).

ومن المؤلم أن ضرب الراعى الصالح كان هو الضمان لسلامة خرافه ، لذلك بذل يسوع نفسه طواعية لأجل خاصته .

وهكذا نكون قد أتينا الى مبدأ آخر نستوحيه من أسلوب يسوع فى القيادة وهو أن :

المبدأ الثالث

الرعاة الصالحون يعرفون خرافهم ، والقادة الصالحون يعرفون تابعيهم .

وإذا بدا هذ المفهوم غريباً بالنسبة لنا ، فالسبب هو أن معظمنا يتصورون القائد كالشخص الذى يقف فى أول الصف ، أو الذى يشغل منصبا رئيسياً فى الحكومة ، أو الضابط الكبير الذى يرأس العرض العسكرى – الذى يقف إلى حد ما بعيداً عن تابعيه . صحيح إن الإمساك بزمام المبادرة هو جانب من جوانب القيادة ، ولكن الرعاة الحقيقيين هم الذين يقومون أيضاً بالخدمة وببذل النفس .

إن يسوع المسيح يدعو القادة إلى الخدمة ، إلا أن معظمنا يفضلون أن يقودوا وأن يدعوا الخراف لاتباعهم . فبينما يدعونا هو أن نكون خداماً ، نفضل نحن أن نصدر للناس أوامرنا .

الرعاة يواصلون التحرك :

إن الرعاة الحكماء يقودون خرافهم دائماً نحو المراعى الخضر والفرص

الأفضل ومياه الراحة حيث لا تزعجها ضوضاء أوضغوط أو مشاغبات . ولكن ليس كل الرعاة يقودون بمثل هذه الحكمة .

خذ مثلاً إحدى المحلات التجارية الضخمة فى الولايات المتحدة . كان ترتيبها بين المحلات الأخرى قرب القمة ،ومع ذلك خسرت وفشلت ،لأنها لم تستطع أن تساير الظروف المتغيرة . ولكن قادة المحلات المنافسة لها ، درسوا الحركة الإقتصادية المتغيرة للزبائن واستحدثوا فى محلاتهم تطويراً سريعاً يتمشى مع ظروفهم ، ولذلك ظلت محلاتهم قوية . وساعدهم على ذلك ، أنهم بكل مرونة وتفتح ، أضافوا أنشطة جديدة واستحدثوا أنواعاً جديدة من الأنشطة التى كانت قائمة من قبل ، ونجحوا فى كل هذه العمليات الجديدة نجاحاً كبيراً .

إن سر نجاح القادة فى المحلات الثانية يعود الى أنهم كانوا يتابعون الظروف ، وبلغة العمل ، كانوا واعين للأحداث الجديدة متفمين للتغيرات ، مدركين إحتياجات الناس .

وبينما يقود الراعى الصالح قطيعه ليظل متحركاً ، يبقى هو « معه » و« معنا » .

من ألقاب يسوع أنه « عمانوئيل » ومعناه « الله معنا » . وهذا يذكرنا أنه ، وهو يقود ، لا يتركنا ولا ينسانا ، مهما كانت وعورة الطريق التى نسلكها فى ترحالنا .

إن الواجب الحقيقى على القادة فى عصرنا هو أن يجمعوا بين هذه المواصفات . فنحن نحتاج الى لمسة المودة والمحبة الخاصة بينما نردد أيضاً القول « إننا سائرون للأمام » .

وكانت كلمات يسوع الختامية لتابعيه تجمع هاتين الصفتين . فقد أرسلهم قائلاً :« إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم بإسم الآب والإبن والروح القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام

الى إنقضاء الدهر » .(تث ٢٨:١٩ – ٢٠) – أى أنهم سيسيرون الى الأمام– وهو أيضاً سوف يكون سائراً معهم .

مغامرة التحرك أو السير الى الأمام :

كان ليسوع خطة للعمل والتحرك . لم يقصد أبداً لتابعيه أن يبقوا متقوقعين كجماعة صغيرة فى اورشليم . ومع ذلك فإما أنهم لم يفهموا إرساليته العظمى، أو أنهم لم يكونوا يريدون أن يطيعوها فوراً . ويروى لنا سفر الأعمال أن التلاميذ كانوا مقيمين فى اورشليم ، وربما كانوا يودون الإقامة هناك دواماً ، لكن الراعى الصالح لم يكن يسمح لقطيعه أن ينزوى ويضعف فى ركن صغير فى الشرق الأوسط . ويقول لوقا : « وحدث فى ذلك اليوم إضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى اورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل » أع ١:٨

وربما لم يكن الرسل يريدون أن يغامروا لولا أن يسوع المسيح قد سمح للإضطهاد أن يدفعهم دفعاً إلى الأمام . وعندما تركوا بدأ الإيمان ينتشر فى ربوع العالم المتحضر آنئذاك . وما أن جاء عام ٣٢٥ بعد الميلاد حتى كانت المسيحية قد صارت الدين الرسمى للإمبراطورية الرومانية .

وعندما نترجم هذا المفهوم بالنسبة لدوائر العمل أو الكنيسة نرى أن أسلوب يسوع فى القيادة يحتم المغامرة والمبادءة . وبهذا المفهوم يقف القائد أمام تابعيه وموظفيه وأعضاء كنيسته ، ويرى الإمكانيات والطاقات الكامنة خلف كل فكرة جديدة ، ثم يقول للجميع « دعنا ننفذها معاً » .

الراعى صاحب الرؤية:

فى منتصف السبعينيات اتفق بائع أدوية اسمه «استان» مع الأطباء والمستشفيات على عقد دورات تعليمية لتوعية الجمهور بالأمور المتعلقة بالصحة . وبعد سنوات قليلة أصبحت فكرة «استان» نموذجاً يمارس فى

كثير من المستشفيات الأمريكية.

ولكن «استان» كانت لديه فكرة أخرى – الطب الوقائى .وابتكر خطة رائعة للعمل مع الهيئآت والمؤسسات ليشجع الموظفين على منع المرض . وأوضحت أبحاثه أن الموظفين يتغيبون عن عملهم أياماً كثيرة كل عام ، مما يؤدى إلى خسارة مالية لشركاتهم ، كما بين كيف يمكن أن تتلاشى أيام الغياب الكثيرة عن طريق الطب الوقائى .

وقدم «استان» فى برنامجه المرن عدة بواعث يمكن أن تدفع الناس للتمرينات البدنية ولتخسيس الوزن . وقد تتكلف المؤسسات بعض المال لتنفيذ هذا البرنامج ، ولكن «استان» استطاع أن يبين المكاسب التى ستعود عليها على المدى الطويل .

وعرض «استان» فكرته على أكثر من سبعمائة مؤسسة ، ولكن ولا واحدة منها قررت أن تقدم على هذه المغامرة . بل إنها كلها اعتذرت لأسباب متنوعة تتلخص فى أنها لا ترى أية قيمة لهذا البرنامج . ومع ذلك ، ففى بداية الثمانينات ، بدأت مؤسسات كبرى تتقبل مفهوم الطب الوقائى .

إن المعضلة التى واجهها «استان» هى بعينها المعضلة التى يشترك فيها القادة أصحاب الرؤى ؛ فلديهم المقدرة للنظر عن بعد ، ولتصور أشياء لا تستطيع «الخراف» أن تؤمن بها إلا إذا رأتها بعينيها . ويستطيع هؤلاء القادة أن يتنبأوا بما سوف يعترضهم فى طريقهم من منحنيات وعقبات . وهم أحياناً يدفعون الآخرين دفعاً إلى الأمام سواء أبصر هؤلاء الآخرون أو لم يبصروا .

إن الآية المركزية التى يمكن أن تعتبر المحور الذى يدور حوله إنجيل لوقا هى :« وحين تمت الأيام لارتفاعه ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم »لو ٩:٥١. ويتبين لنا من الآيات التالية أن التلاميذ لم يفهموا قوله ، لأنهم كانوا مشغولين بالتفكير فى نار تنزل من السماء تحرق قرية للسامريين وتفنى سكانها ، فى الوقت

الذى كان يسوع يتطلع إلى الجلجثة.

وبينما يحتاج القادة إلى مواصفات الرؤية ، فهم يحتاجون أيضاً أن يكونوا حريصين حتى لا يسيروا إلى الأمام بعيداً أكثر من اللازم لئلا ينفصلوا عن رعيتهم . إن الرعاة ، حتى أولئك الذين لديهم رؤية ، ينبغى أن يكون خير رعيتهم هو أول ما يشغل بالهم ويتركز فيه اهتمامهم . ولست أظن أن هناك ما هو أسوأ من أن نسمع أعضاء الكنيسة يقولون عن راعيهم الطموح وصاحب الرؤى « أنه يبنى ملكوته الشخصى الصغير » .

إن تفكير بعض القادة فى « بناء إمبراطورية » هو تفكير خطير جداً . حدث أن مؤسسة من أولى المؤسسات التى كانت تصنع أجهزة الكمبيوتر أفلست لأنها توسعت وامتدت أكثر من اللازم . وفيما بعد قال واحد من ممثلى الشركة فى قسم المبيعات :« إن رئيس المؤسسة أراد أن يكون الأكبر ، ولكنه لم يحرص على أن يكون الأفضل . ولم يكن يكترث عندما هجره موظفوه لأنه كان دائماً يظن أنه يستطيع أن يستخدم أى أناس آخرين وبنفس الكفاءة ».

الرعاية المتزنة :

فى أى ميدان نجد أنفسنا فيه كقادة ، ينبغى أن تتوافر فينا صفة التواجد مع زملائنا وشركائنا فى العمل ، مع الموظفين ومع أفراد الرعية ومع أفراد العائلة حتى يلمس الجميع إهتمامنا بهم . صحيح أننا لا نستطيع أن نكون أفضل صديق بالنسبة لكل واحد ، لكن نستطيع أن نكون قريبين من الجميع بحيث يسهل على الجميع الإتصال بنا والإحساس بوجودنا معهم وقربنا منهم . كما فعل رئيس مجموعة كبيرة من المطاعم عندما وضع على باب غرفته المفتوح الشعار الذى إعتبره سياسته فى العمل ، قال فيه :«يستطيع أى موظف أن يأتى لمقابلتى فى أى وقت » . وكان كل الموظفين لديه يعرفون ذلك جيداً ، ويعلمون أنه مشغول جداً ، ولكن مشاغله الكثيرة لم تكن تعوقه عن أن ينصت جيداً لموظفيه .

لذلك لا غرابة إن كان ذلك الرجل ناجحاً جداً فى عمله .

وإلى جانب ذلك فإن القادة الأمناء يوازنون أيضاً علاقاتهم مع الآخرين حتى يستطيعوا أن يدفعوا أتباعهم إلى الأمام . إن معظم الناس يريدون أن يركنوا للراحة وللبقاء حيث هم . وعندما يألفون أسلوباً معيناً من الحياة ويتعودون عليه فإنهم لا يريدون التوسع أو إختبار أشياء جديدة . إن القائد الفعال والمؤثر هو الذى يقول لأتباعه دائماً :«للأمام سر ».

وكان يسوع يعلم كيف يحافظ على هذه الموازنة . فمن ناحية وعد تلاميذه بحضوره معهم وتعزياته لهم بالروح القدس ، ولكنه من ناحية أخرى ثبت وجهه فيما وراء مدينة مجهولة فى الشرق الأوسط لكى يواجه العالم . وسجل لوقا كلمات يسوع التى جمعت كلا المبدأين :« لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض ». أع١:٨ .

ما الذى يصنع الراعى الصالح ؟

هناك علاقة رقيقة ووثيقة بين الراعى والخراف . وقد استخدم يسوع هذه الصورة الحية ليشرح أسلوبه فى القيادة . فالراعى يعتبر أن مكافأته تأتى عندما يرى رعيته قانعة وشبعانة وسالمة ومزدهرة . إنه لا يستخدم طاقاته لمجرد أن يكتسب شهرة لنفسه ، ولكن بالأحرى لكى يزود خرافه بالغذاء من أفضل وأجود المراعى ، ولكى يخزن ما يلزم لطعام الشتاء ، كما أنه يبحث لها عن أنقى المياه . والرعاة الصالحون لا يدخرون وسعاً فى تهيئة المأوى الذى يقى الخراف من العواصف . وهم دائماً يحترسون من الأعداء ومن الأوبئة ومن النباتات الطفيلية التى قد تتأثر الخراف بها . وهؤلاء الرعاة الصالحون يكرسون كل أيامهم من الفجر إلى الغسق وبكل تضحية وإيثار لما يعود بالخير على أتباعهم . بل إنهم قد لا يستريحون طوال الليل ، إذ أنهم قد ينامون وعيونهم

شبه مفتوحة وآذانهم متفتحة تماماً، وهم مستعدون للوقوف فوراً لحماية خرافهم لحماية خرافهم عند سماع أقل صوت مزعج .

وعندما يقول يسوع إنه الراعى الصالح ، لا يعنى أنه مجرد قائد آخر ، فكثيرون من القادة الدينيين فى عصره إدّعوا أنهم رعاة إسرائيل ، ولكن يسوع رأى رياءهم ، والذات المتمركزة فيهم ، وعجزهم عن القيادة ، وفشلهم فى حماية قطعانهم . فى الواقع كان يسوع يقول : « أنا الراعى الفائق الإمتياز، فى قيادتى ستجدون الحماية والشركة والإغاثة والإعالة ». أى أن كل المسئولية كانت على كتفيه ، وكل الرقة فى عمق قلبه . إنه لا يقف جامد المشاعر فى معزل عن الخراف . إن رعيته لن تسمع رد «مساعد الراعى» عليها عندما تطلبه فى التليفون . إنه الراعى الصالح ، وأسلوبه فى الرعاية هو محبته للخراف .

الفصل الرابع

الشجاعة

هناك كثيرون من القادة الدينيين والعلمانيين الذين يبدون استعدادهم لرشوة الناس لكى يدينوا بديانتهم ومبادئهم . وأعنى «بالرشوة » هنا أنهم يقدمون للناس وعوداً بالبركات والإمتيازات ، ويوهمون تابعيهم بأنهم سيصيرون من طبقة خاصة ومتميزة أفضل وأعلى من تابعى الديانات والمبادىء الأخرى . وهذا بالطبع هو أقل ما يمكن أن تبدأ به أية حركة أو عمل أو أى نشاط آخر .فالقادة يبذلون كل جهدهم لكى يجتذبوا أول التابعين لهم ثم يشجعونهم بحماس حتى تتولد فى الحركة الطاقة الذاتية للتوسع والنمو .

ولكن يسوع ، بعكس ذلك ، لم يقدم أية وعود عظيمة فى بداية خدمته . وكل ما ذكره الكتاب عنه وهو يجند تلاميذه هو عبارة «اتبعنى» يو١:٤٣. وما يدهشنا أكثر من ذلك ، أن يسوع لم يحاول أن يمارس أى نفوذ أو سلطة للتوسع فى دعوته أو للإعلاء منها. ويسجل يوحنا قصة نيقوديموس الذى جاء لزيارة يسوع ليلاً ، فيصف نيقوديموس بأنه كان إنساناً من الفريسيين ، رئيساً لليهود » يو٣:١ ونستطيع أن نستنتج من هذه الكلمات أن نيقوديموس كان واحداً من القيادات اليهودية ومن جماعة الفريسيين «المنفصلين أو المفرزين» الذين اشتهروا بالمحافظة والتدقيق ، أى أن هذا الذى جاء إلى يسوع لم يكن مجرد إنسان عادى .

ولنتصور مقدار الفخر لو أن نيقوديموس صار من أوائل من قبلوا المسيح . كان فى وسع يسوع عندئذ أن يقول متفاخراً : « إن لى تلاميذ فى مراكز

عالية ». أليس غريباً أن يسوع لم يقدم لنيقوديموس ترحيباً أكثر مما قدمه لأى شخص آخر؟ ولم يقدم له أية وعود أو إغراءات ، بل ولم يقدم له أى كلمة مدح أو ثناء أو حتى إعتراف بمركز الرجل ومكانته .

لقد أصغى يسوع إلى كلمات نيقوديموس الناعمة : « يامعلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل إن لم يكن الله معه » يو٣:٢ .

وعندما صمت نيقوديموس عن الكلام ، لم يقل له يسوع :« أنت تسير على الدرب الصحيح . كل ما عليك أن تفعله هو أن تبذل ما فى وسعك لمواصلة السير » . إن وجود رئيس لليهود لم يكن ليخيف يسوع أو يرهبه ؛ ولم يقل له يسوع ما يقوله كثيرون من القادة المسيحيين اليوم عندما يتحدثون إلى غير المسيحيين من أتباع الديانات الأخرى « أنتم عندكم بعض الحق ولدينا نحن بعض الحق ، وكلنا نكافح معاً».

لقد واجه يسوع ذلك القائد الدينى المحنك بقوله الصريح له :« ينبغى أن تولدوا من فوق ». إنه لم يعط لنيقوديموس الكلمات التى كان نيقوديموس يريد أن يسمعها ، ولم يمدحه لمجيئه إليه أو لإصغائه له ؛ ولم يحاول أن يؤثر عليه ليقنعه بالإنضمام للتلاميذ الآخرين . ولكنه بدلاً من ذلك خالف كل الأصول التى يتبعها البائع الماهر فى عرض بضاعته فواجه نيقوديموس بمطلب روحى .

لا مساومة ولا تهاون :

بحسب مستوى وقياس كثيرين من القادة اليوم يمكن أن يقال إن يسوع أخطأ خطأ بالغاً وهو يتحدث مع نيقوديموس لأنه صمت عن مدح نيقوديموس والثناء عليه . إن كل قواعد فن البيع تحتم على البائع أن يحاول فوراً أن يمتدح الجوانب الطيبة فى الشخص المزمع أن يشترى . ويطلب من البائعين عادة أن يستخدموا الإطراء والتملق وأن يحاولوا أن يستكشفوا شيئاً إيجابياً فى المشترى

يمتدحونه عليه . كما يطلب من البائعين أن يظهروا كل مودة وتفتح . وفوق كل شيء عليهم أن يظلوا مبتسمين باستمرار.

إن كثيرين من القادة عندما يلتقون بكبار الناس الأغنياء أو الذين هم فى مواقع السلطة أوالقوة ، يميلون إلى الإشادة بكل ما يقوله أو يفعله هؤلاء الكبار بأفضل تعبير إيجابى ومقبول . ويحرص هؤلاء القادة على عدم إثارة هؤلاء الكبار أو تكديرهم ، خاصةً عند أول لقاء . لكن يسوع لم يتبع هذه القواعد.

ولا شك أن الطريقة التى جاء بها نيقوديموس إلى يسوع كانت تعنى أن رجلاً فى مثل مركزه كان يخجل أن يراه الناس علانية مع هذا « الربى» الجديد المدعو يسوع . فالفريسيون كانوا يقتربون من يسوع بطريقة توحى بأنهم يتنازلون أو يتفضلون عليه بمنحه اهتمامهم . وهكذا يمثل نيقوديموس كثيرين من أفراد مجتمعنا اليوم الذين يشعرون أنهم يمنحون المسيحية شرفاً عظيماً عندما يقولون :« نحن العلماء ونقّاد الأدب ، نحن موجهو الرأى العام ، نحن كتّاب الصحف والنشرات والمجلات ، نحن المسئولون عن برامج التليفزيون والتعليق عليها ، نحن قادة الحركات الإجتماعية والخيرية — نحن نعترف أن يسوع كان معلماً عظيماً».

لكن ، مهماكان إحساس نيقوديموس بالتنازل أو بالتفضل . بإظهار الإهتمام بيسوع ، فإن تصور نيقوديموس القاصر عن يسوع لم يغير إطلاقاً من سياسة الرب فى لقاء نيقوديموس بقلب مفتوح وبترحيب صادق . وهكذا ينبغى أن يكون موقفنا إزاء المجتمع الذى قد يظن أنه يتلطف معنا «تفضلاً أو تنازلاً » منه ، لا ينبغى أن يدفعنا هذا إلى النفور أو الإحساس بالمرارة.

والآن دعنا نتأمل كيف أمكن ليسوع أن يواجه نيقوديموس بشجاعة دون أن يتجرد من روح المحبة ، حتى نرى أسلوب القيادة الذى مارسه الرب فى تلك الليلة .

لقد سنحت ليسوع ، ذلك «الربى» الشاب القادم من الناصرة والذى لم يكن يحمل أى شهادة من السلطات ، فرصة لا مثيل لها لكى ينفتح المجال قدامه فى قلب السنهدريم. ولم يكن هناك بالنسبة لذلك الشاب الروحى المتحمس والغيور ، ما هو أجمل من أن يعترف أناس معروف عنهم أنهم ذوو نفوذ وحكمة، بأنه هو أيضاً مرسل من الله . ربما يجد هذا الشاب فيما بعد قدراً كبيراً ومشبعاً من هذا الإعتراف والمديح ، ولكن ليس فى بداية خدمته .

وكان فى وسع يسوع أن يستخدم كثيراً من عبارات المجاملة والتملق فيقول مثلاً: «يشرفنى أنك جئت لترانى»، أو «ياله من امتياز كبير لى أن ألتقى بك»أو«يسرنى أنك تعترف بأنى جئت من الله». وكانت مثل هذه العبارات تعتبر معقولة وذات معنى لو أن ذلك «الربى» الشاب كان يسعى فقط إلى مجرد الشهرة أو الإعتراف به . لكن يسوع ، على أية حال بالطريقة التى تحدث بها مع نيقوديموس – أظهر شجاعة وجسارة بل وترفقاً وتعاطفاً أيضاً. فلم يحاول أن يسخر منه أو يزدرى به. إن بعض القادة يحاولون أن يبنوا «إمبراطورياتهم» عن طريق التهكم على الآخرين أو السخرية منهم أو إذلالهم واحتقارهم . لكن يسوع لم يلجأ إطلاقاً إلى مثل هذا الأسلوب.

وقد يبدو أسلوب يسوع هنا وكأنه يتقلب حسبما يقتضى كل موقف . فعندما تجمعت الجماهير فى الهيكل ، لم يتردد يسوع فى أن يعلن غضبه على الصيارفة الذين كانوا قد دنسوا بيت الرب ؛ بينما نراه هنا مع نيقوديموس يتصرف بهدوء . فبعد أن خيم الظلام ، وفى سكون الليل ، لم يتردد فى أن يجرى حواراً فكرياً مع نيقوديموس – حواراً كان صريحاًوصلباً ولكنه كان يتميز بطول الأناة.

منذ وقت ليس ببعيد شاهدت مناقشة تليفزيونية بين قائد مسيحى وواحد من الذين يؤمنون بالمذهب الإنسانى humanist والذى يؤكد على قيمة الإنسان وقدرته على تحقيق الذات عن طريق العقل ويرفض الإيمان بأية قوة

خارقة للطبيعة ، وأصحاب هذا المذهب ينكرون ألوهية المسيح . وما أحزنني في هذه المناقشة المشار إليها أن هذا القائد المسيحي حاول جاهداً أن يحوز قبول الجمهور أكثر من حرصه على تقديم رسالة المسيح بجسارة أو جرأة . وكلما زادت أسئلة الجمهور ازداد حرص هذا القائد المسيحي على أن يقدم الرسالة بالشكل الذي يروق لهم دون أن يقدم لهم الحقائق المسيحية الأساسية الصريحة. .

إن مجتمعنا العلماني يرحب بكل تأكيد بالكنيسة التي يمكن أن تحتضن وتتقبل كل أنواع العقائد . ويمكن أيضاً لحضارتنا أو ثقافتنا الدنيوية أن تحتضن رجال الكنيسة طالما أنهم لا ينبرون على متطلبات أخلاقية أو أدبية ثقيلة. إن عالمنا يمكن أن يكون منفتحاً ليتقبل مسيحية بلا عمود فقري - مسيحية يمكن أن ترى الله في كل شيء وأن ترى كل شيء في الله . ولكن أسلوب يسوع في القيادة لم يكن من هذا النوع.

إن أسلوب المسيح في القيادة يتطلب الشجاعة - شجاعة قول الحق في محبة ، إذ أن هناك إختلافاً كبيراً بين المحبة والتهاون أو المجاملة على حساب الحق بغية إرضاء الناس. إن أول ما نتعلمه من أسلوب يسوع في القيادة هو أن الحق ينبغي أن يسبق كل شيء آخر؛فهو لم يحاول أن يستميل الناس أو يؤثر فيهم عن طريق الحماس أو رفع نغمة الصوت ، كما أنه لم يحاول أن يجتذبهم بالوعود . بل إنه في الواقع كان يدفع بعض الأفراد إلى التردد والتريث في إتباعه ، إذ أنه كان يذكر لهم متاعب التلمذة له وصرامتها ونفقاتها . أي أنه لم يكن يريد أن أحداً من الناس يقبل الإيمان دون أن يدرك ما قد يخبئه المستقبل لأتباعه.

تكلفة الشجاعة

كانت فتاة اسمها(باربارا) تعمل وكيلة لإحدى شركات الطيران لحجز الأماكن للمسافرين . حدث أنها خلال السنتين الأخيرتين تعرضت ثلاث مرات لمتاعب مع رؤسائها بسبب أمانتها. فقد اكتشفوا أنها كانت تعطي العملاء

معلومات كاملة وصادقة عن خدمة الشركة وأسعار التذاكر . فإذا حدث أن حدث أن أحد العملاء طلب حجز مكان فى موعد معين ليس موجوداً فى جدول رحلات طائرات الشركة ، كانت باربارا تشير عليه بالتوجه إلى شركة أخرى مناسبة له ، بل إنها أشارت على أحد العملاء مرة بالتوجه إلى شركة أخرى يمكن أن تعطيه تذكرة بسعر أقل فى تلك الرحلة.

كانت باربارا بذلك تريد أن تلتزم بالإستقامة والصدق ، وفى الوقت نفسه كانت تريد لشركتها الربح ، مع أنها كانت معرضة - بسبب صدقها - لفقد وظيفتها . ولكنها ظلت كذلك حتى بلغت سن التقاعد، لأن الشركة كانت تصلها رسائل كثيرة من العملاء وجميعهم كانوا يشكرون الشركة ويشيدون فى رسائلهم بما لمسوه فى هذه الوكيلة من أمانة وصدق . ومن بين هذه الرسائل رسالة قال صاحبها:«أنا أسافر كثيراً ، ولكن لم يحدث أبداً أن أشار على أى وكيل شركة بالتعامل مع شركة أخرى إلا فى حالة إضطرارى ، إلا أن هذه الخدمة التى كانت تتطوع باربارا للقيام بها جعلتنى أقرر من الآن فصاعداً أننى سأتعامل مع شركتكم تعاملاً مطلقاً بلا منافس».

وقد ظلت باربارا - حتى تقاعدت - تواجه بين وقت وآخر لوم رؤسائها . ولكنها قالت إنها تفضل ذلك على ألا تكون أمينة أو صادقة مع الناس . وللأسف لم تشجع الشركة الموظفين الآخرين على اتباع نموذج باربارا ، ولكنها فى الوقت نفسه سمحت لباربارا أن تؤدى وظيفتها بالأسلوب الذى اختارته لأن هذه الطريقة عادت بالفائدة على الشركة فى النهاية.

إن القادة الحقيقيين يلتزمون بمواقفهم حسب مبادىء إيمانهم - سواءاً عاد الموقف بالفائدة أم لا. وقد أحسن أحد القادة عندما صاغ هذا المعنى فى هذه العبارة :«إذا قبلت المساومة أو التراخى حول مبدأ واحد ومع شخص واحد ، فأين أستطيع أن أضع الخط الفاصل إزاء مساومات أخرى؟».

شجاعة المسيح

لم يذكر فى أى مكان أن يسوع أمر تابعيه بأن يظهروا شجاعة عظيمة ؛ كما أنه لم يذكر فى أى مكان أنه قال : « لا تساوموا أو تتهاونوا على حساب قيمكم ومبادئكم». إنه لم يكن محتاجاً أن يفعل ذلك ، لأن مثاله كان كافياً. ففى الأصحاح الثانى من إنجيل يوحنا – على سبيل المثال– وقف الرب يسوع فى مواجهة كل قادة اليهود فى عصره لأنهم حولوا بيت العبادة إلى بيت تجارة ، فصنع سوطاً من حبال وطرد الجميع من الهيكل وقلب موائدهم ، ووبخهم بعنف على ممارساتهم الشريرة .

حدث مرة عندما كنت أعظ عن هذا الفصل، أن اعترضنى شاب من رجال الأعمال الناشئين وقال لى :« إننى أعتقد أن هذا التصرف كان تصرفاً عابراً بلا جدوى، لأن هؤلاء الناس لابد أنهم فى اليوم التالى عادوا فنصبوا موائدهم ثانية وعاودوا أعمالهم من جديد». ولكن قبل أن أجيب هذا الشاب انبرت ربة بيت شابة لتقول له : « إننا أحياناً نقوم على عمل ما ليكون رمزاً ذات مغزى لمعنى معين. فلا شك أنه لم يكن ممكناً أن يقوم يسوع بتنظيف الهيكل كل يوم ، ولم يكن يقصد ذلك . وكان فى وسعه أن يقضى كل أيام خدمته وهو يستخدم وسائل متنوعة يقلب بها الموائد ويطارد بها الصيارف . ولكنه استخدم هذه الواقعة كمنبر يخاطب منه كل الأمة اليهودية ؛ فبهذه الحادثة الواحدة ، بين لهم ما كان يؤمن به وما جاء لأجله».

ولم يكن ممكناً أن أجد أفضل من هذه الإجابة لكى أرد بها على تعليق ذلك الشاب.

نحن لا نحتاج فى مجتمع اليوم إلى مزيد من دعاة الأخلاق وأساتذة الفضيلة ، فالعالم ملىء بهم ، إنما نحتاج إلى القادة الذين يشيرون إلى الإتجاه ويوجهون إليه بشجاعة . نحن لا نحتاج إلى القادة الذين يعرفون الحق ويقولون

الصدق . نحن لا نحتاج إلى من يخبرنا عن واجباتنا ، إنما نحتاج إلى شجاعة كشجاعة المسيح لكى نعمل ما نعرف من قبل أننا ينبغى أن نفعله.

الشجاعة فى «معركة»:

قال أحد القادة مرة :« القادة يختارون معاركهم . إنهم لا يستطيعون أن يربحوا كل معركة ، بل إنهم قد يخسرون بعض المعارك فى الطريق . ولكنهم يستطيعون أن يكسبوا الحرب فى النهاية».

والقيادة فى معظم الأحيان هى معركة تتطلب شجاعة . وليس معنى الشجاعة ألا تخاف أو ترتعب أبداً ، وليس معناها ألا تشعر بإضطراب داخلى أبداً ، أو أنك لا تسأل أبداً «ياإلهى ، هل أنا أعمل الصواب ؟» . إن الشجاعة معناها أنك تعمل الصواب مهما كانت العواقب .

كان مارتن لوثر ، المصلح الملتهب فى القرن السادس عشر ، رجلاً شجاعاً حقاً . فقد تحدى كنيسة عصره ، والبابا ، والقادة الآخرين – الدينيين والدنيويين . وفى عام ١٥٢١ قبل أن يواجه المجلس التشريعى الألمانى فى مدينة وورمس . وبالرغم من الوعد بحراسته وحمايته إلا أنه كان يعرف أنه بذهابه إنما يخاطر بحياته . فلقد سبق أن أعطى «جون هس» وعداً مماثلاً قبل ذلك بقرن ، إلا أنهم حكموا عليه بالموت حرقاً . وكان قادة الكنيسة قد وعدوا لوثر بالغفران إذ أعلن توبته عن «أخطائه» وعودته إلى «الإيمان الحقيقى». ولكن لوثر كان يعرف أن هذا الوعد لم تكن له قيمة إذ أنهم اعتبروا الوعود للهراطقة غير ملزمة بالوفاء . وكان يعرف أيضاً تاريخ القرنين السابقين ، عندما تحمل آلاف المسيحيين التعذيب، وبعضهم مات أثناء محاكم التفتيش المشينة.

ولقد وصل لوثر بسلامة ، ولكن المحكمة لم تعطه فرصة للدفاع عن معتقداته ، بل واجهته بقائمة من «أخطائه». ومع أنه كان يعرف أن المحكمة كانت تستطيع أن تقرر حياته أو موته ، إلا أنه عندما طلب منه أن يتراجع

عن معتقداته وأن ينكرها أجاب قائلاً:

« إذا لم أشعر بتبكيت الكتب المقدسة على أخطائى (طالما أننى لا أثق فى سلطة البابا أو المجالس غير المؤيدة ، وطالما أنه من الواضح أنهم أخطأوا وأنهم كثيراً ما ناقضوا أنفسهم) فإن من المحتم أنى سأكون ملوماً ومداناً من نفس هذه الكتب التى أحتكم إليها. إنى لا أستطيع أن أشجب شيئاً مماناديت به ، ولن أفعل شيئاًكهذا، لأنه ليس فى مقدورى ولا هو مما يعطينا أماناً أن أفعل شيئاً ضد ضميرى . هذا هو موقفى ولن يتغير. والرب يساعدنى . آمين ».*

وعبر القرون ، ثبت القادة المخلصون لله فى مواقفهم ؛ وقفوا إلى جانب الحق والأمانة ، والبر ، بغض النظر عن ميادين عملهم.

الشجاعة تتقدم دائماً للعمل:

حدث منذ عدة سنوات أن قائداً مسيحياً فى استراليا — التحق بوظيفة فى الحكومة . استدعاه رئيسه خلال الأسبوع الأول من عمله وعرض عليه أن يعمل ساعات إضافية لقاء أجر إضافى . ورحب جيم بذلك لأنه كان محتاجاً للمال.

وفى مساء اليوم الأول للعمل الإضافى لاحظ جيم أن زملاءه كانوا يلتفون حول مائدة يلعبون الورق. ولما طلب جيم العمل أجابه المشرف ساخراً : «أى عمل ؟ إن العمل الإضافى معناه فقط أن تبقى فى مكان العمل فترة أطول وأن توقع بإسمك فى كشف الإنصراف فى موعد متأخر بعض الوقت عن المعتاد»

ولم يخش جيم مواجهة المشرفين ، بل وبخهم قائلاً:« ما دمنا نأخذ أجراً عن عمل ، إذاً لابد أن نعمل ». فاغتاظ منه زملاؤه الآخرون ، ولم يكتفوا بالإستياء منه بل بدأوا يضطهدونه ، فبدأوا يحرمونه من العمل الإضافى . ثم

---

* (T.M.Lindsay ; A History of the Reformation . Charles Scrilners Sons ; P. 257)

بدأ رئيسه يكلفه بكل الأعمال الشاقة . وبدأ زملاؤه من كل جانب يطلقون عليه كثيراً من الصفات والألقاب الساخرة التهكمية للإزدراء به . إلا أن جيم متمسكاً بموقفه ؛ مع أن رئيسه قال له : « أنت شاب لطيف (وطيب) ، حاول أن تنسى تعصبك لرأيك وتمسكك بموقفك . إتبع نفس أسلوب زملائك ، إتبع الغالبية ، وستكسب مالاً كثيراً ». فأجاب جيم قائلاً :« إذ أخذت أجراً فإنى لا بد أن أؤدى عملاً فى مقابل هذا الأجر. إن لعب الورق أثناء ساعات العمل الإضافية التى نأخذ عنها أجراً أمر لا يتفق على الإطلاق مع مبادئ المسيحية».

وأخيراً ، بسبب هذه الأمور . أصبح مستحيلاً على جيم أن يبقى ، وكان لابد أن يترك هذا العمل ، ولكن قبل أن يغادر مكان العمل ، دعاه رئيس القسم الذى كان يعمل به إلى مكتبه ، وقال له إن مواقفه قد غيرت إتجاهات الموظفين الآخرين ، وأنه بسبب ثباته على مبدئه كان الناس فى أعلى مستويات ذلك العمل بدأوا يتحدثون عن «الضمير» وعن ضرورة مراعاة الضمير فى العمل.

وهكذا صنعت شجاعة جيم منه قائداً . وقد أكرمه الرب وباركه فيما بعد روحياً ومالياً لأنه رفض أن يساير الوضع السائد أو أن يسير فى التيار المخالف للضمير . وقد وعد الرب أن « يكرم الذين يكرمونه » ١ صم ٢:٣٠.

ثمن الشجاعة:

إن القادة المسيحيين يدركون أن التمسك بالمبدأ والوقوف إلى جانب الحق قد يؤدى إلى خسارة مالية ، بل قد يؤدى إلى التعطل والبطالة . فإن أصحاب العمل قد يتهمونهم بعدم الولاء . ولكن القادة الشجعان يعرفون أن إرضاء الله ينبغى أن تكون له الأولوية فى حياتهم.

وقد جاهد الرسول بولس كثيراً فى مسألة إرضاء الله أو كسب رضى

الآخرين . نرى ذلك واضحا فى الرسالة إلى أهل غلاطية . فقد كان بولس قد علم الغلاطيين رسالة الإنجيل أن الله يخلص عن طريق الإيمان بالمسيح — فقط . وبعد أن ترك بولس إقليم غلاطية ، جاء بعض المعلمين وأخبروا أعضاء الكنيسة أن عليهم أن يؤمنوا بيسوع وأن يمارسوا الختان أيضاً .

واستنكر بولس هذا التعليم برد حاسم ، وقال إن هؤلاء كانوا يدعون إلى « إنجيل آخر » (غل ٦:١) . وبعد أن حث الناس على ألا ينصتوا إلى دعاة التهود قال فى النهاية : « أفأستعطف الآن الناس أم الله . أم أطلب أن أرضى الناس . فلو كنت بعد أرضى الناس لم أكن عبداً للمسيح». غل١:١٠

ولقد تطلبت هذه الكلمات قدراً كبيراً من الشجاعة ، وسببت كثيراً من الجدل ، وأغضبت الناس . وربما يكون بولس ، بسبب هذه المجادلة ، فقد كثيراً من الأصدقاء . ولكنه ظل متمسكاً بموقفه أمانة منه للمبدأ . ومن حقنا نحن أن نفرح اليوم ، لأن بولس قد أوضح هذه الحقيقة مرة واحدة وحاسمة، وهى أن الإنسان يصبح مسيحياً على أساس الإيمان بيسوع المسيح فقط . فنحن لا نحتاج أن نكمل إيماننا بممارسة أجزاء أخرى من اليهودية ، أو بأن نقبل يسوع ومعه أشياء أخرى.

ولنلاحظ مغامرة هذه القيادة الشجاعة . فبحسب الحكمة السائدة آنئذ كان على بولس ألا يثير مشكلة كبيرة . فإن الأسلوب الذى استخدمه لا شك سيغضب دعاة التهود ويجعلهم يتحولون ضد يسوع . ولا بد أن نفس منطق هذه الحكمة كان يدعو بولس أن يتحدث إليهم بترفق . ولكن بولس تمثل بيسوع ، فلم يعش طبقاً للحكمة السائدة ؛ بل كان أسلوبه فى القيادة متميزاً ومترفعاً .

نيقوديموس : بقية القصة :

وماذا عن لقاء يسوع بنيقوديموس ، الذى ذكرناه آنفاً ؟ لقد كان لقاء

شجاعاً، ولكن عند التحليل النهائى لهذا الموقف ، ترى هل كان اللقاء مؤثراً وفعالاً ؟

عندما نلقى نظرة على إنجيل يوحنا نرى أن نيقوديموس فيما بعد قام بمحاولة ، مع أنها كانت ضعيفة ، للدفاع عن يسوع عندما طلب من القادة الدينيين ألا يدينوه إلا بعد محاكمة صحيحة ، فهكذا نقرأ فى يو ٧:٥٠ – ٥٢ «قال لهم نيقوديموس الذى جاء إليه ليلاً وهو واحد منهم : ألعل ناموسنا يدين إنساناً لم يسمع منه أولاً ويعرف ماذا فعل . أجابوا وقالوا له ألعلك أنت أيضاً من الجليل . فتش وانظر . إنه لم يقم نبى من الجليل ».

ولكن بعد ذلك نرى نيقوديموس وقد اتخذ موقف شجاعة حقيقية . فعقب صلب يسوع ، جاء يوسف الثرى الذى من الرامة ، وسأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع ليضعه فى قبره الخاص . ثم تأتى الإشارة الأخيرة في إنجيل يوحنا عن نيقوديموس :« وجاء أيضاً نيقوديموس الذى أتى أولاً إلى يسوع ليلاً وهو حامل مزيج مر وعود نحو مائة منا . فأخذا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب كما لليهود عادة أن يكفنوا . وكان فى الموضع الذى صلب فيه بستان وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط . فهناك وضعا يسوع ...» يو ١٩:٣٩ – ٤٢. وهكذا قد كشف نيقوديموس علانية عن تلمذته ليسوع.

ولا شك أن نيقوديموس قد استغرق وقتاً ليس بقليل لكى يعترف أنه تابع للمسيح . ولكن عندما جاء الصليب ، وأصبح الإعتراف بالتلمذة للمسيح أمراً خطراً ، وجد نيقوديموس الشجاعة ؛ أو بالأحرى أصابته عدوى الشجاعة من يسوع . ويبدو أن الجسارة قد فاضت فى نيقوديموس من الصليب ، فساعد فى إعداد جسد المسيح ووضعه فى القبر .

ولا شك أن نيقوديموس عندما نظر إلى يسوع على الصليب تذكر تلك الليلة التى التقى فيها مع الرب فى أورشليم عندما قال الرب له : « هكذا ينبغى

أن يرفع ابن الإنسان » يو ٣:١٤ . وبذا انتهى إلى الأبد - كل التردد والشك الذى كان فى ذهن نيقوديموس .

وقد بدا الأمر كله عندما أظهر يسوع القيادة الشجاعة فى التعامل مع نيقوديموس . وهذا أيضاً هو جزء من أسلوب قيادته .

وهكذا نكون قد أوضحنا المبدأ الرابع لأسلوب يسوع فى القيادة .

المبدأ الرابع

فى خدمة يسوع أكتسب شجاعة فى كل معركة من معارك القيادة .

الفصل الخامس

اللطف

تعجبنى دائماً الطريقة التى تحدث بها يسوع للناس . يمكن أن نقول إنها طريقة تميل للجزم والتوكيد لأنه كان يكشف للناس مشاعره دون إذلال لهم ، كما أنه لم ينطوِ على نفسه عندما حاول أعداؤه أن يوقعوه فى مأزق أو حرج . فعندما اتهمه القادة اليهود فى الأصحاح الثامن من إنجيل يوحنا بأن به شيطان أجاب قائلاً :« أنا ليس بى شيطان لكننى أكرم أبى وأنتم تهينوننى » يو ٨:٤٩ .

وقد وبخ يسوع أيضاً تلاميذه عندما كانوا فى حاجة إلى التوبيخ . ففى الليلة الأخيرة له مع تلاميذه الإثنى عشر « صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحهما بالمنشفة التى كان متزراً بها ». ولكن بطرس رفض ذلك قائلاً :« لن تغسل رجلىّ أبداً » يو ١٣:٨ . فأجابه يسوع إجابة حاسمة : « إن كنت لا أغسلك فليس لك معى نصيب ». يو ١٣:٩.

الجانب اللطيف :

وفى مرات أخرى ، على أية حال ، أظهر يسوع الجانب اللطيف لطبيعته . وليس هناك ما هو أوضح لذلك من قصة المرأة التى أمسكت فى زنى . فإن يسوع لم يلتمس لها العذر لخطيتها ، ولكنه غفر لها . وبعد أن انصرف متهموها قال لها يسوع :« ولا أنا أدينك . إذهبى ولا تخطئى أيضاً ». يو٨:١١.

وعندما نتأمل أسلوب يسوع فى القيادة ، قد نجرب أن نبرر تنبيراً

خاصاً على إقدامه ومبادرته ، ورؤيته ، بينما نهمل جانب اللطف فيه ، مع أن هذا الجانب يعتبر عنصراً هاماً آخر من عناصر القيادة التى أظهرها يسوع بأجلى صورة .

وعندما واجه الرب أولئك الذين تآمروا ضده ، استطاع أن يتصدى لهم ويثبت فى موقفه . ولكن عندما التقى بعامة الناس — الناس الذين كانت لهم احتياجات مختلفة — فإن صفات اللطف فيه برزت سلفاً.

من بين أكثر الفصول المؤثرة فى العهد الجديد ، ما جاء عن يسوع وتلاميذه عندما تابعتهم الجموع حتى أنهم كانوا محتاجين إلى فرصة راحة . فمضوا فى السفينة إلى موضع خلاء منفردين . « فرآهم الجموع منطلقين وعرفه كثيرون فتركضوا إلى هناك من جميع المدن مشاة وسبقوهم واجتمعوا إليه . فلما خرج يسوع رأى جمعاً كثيراً فتحنن عليهم إذ كانوا كخراف لا راعى لها فابتدأ يعلمهم كثيراً».(مر ٦:٣٣ – ٣٤)

الوداعة ليست ضعفاً :

نحن نميل عادة ، بحسب ثقافتنا وبيئتنا ، أن نحسب اللطف والوداعة والتواضع كلمات تفيد معنى الضعف . بينما ، فى الواقع ، أن هذه الكلمات تعنى ضبط النفس وعظمة الخلق أكثر بكثير من « القوة » المزعومة التى تجعل الشخص يندفع فى قذف الكلمات اللاذعة أو ينطلق فى المجادلة مع خصومه .

ومن الملاحظ أن مترجمى العهد الجديد لم يتفقوا دائماً على نفس الألفاظ التى تستخدم لوصف هذه المعانى . ففى اليونانية استخدم لفظ praotes بمعنى الوداعة ، ولفظ epieikes بمعنى اللطف ، ولفظ chrestotes بمعنى الشفقة — ومع ذلك فالثلاثة يتشابهون فى المعنى إلى حد كبير . بل إن ترجمة الملك جيمس تستخدم أحياناً كلمة chrestotes بمعنى الشفقة وفى أحيان أخرى تستخدم نفس الكلمة بمعنى اللطف (أنظر تى ٣:٤ ؛ ٢ كو ٦:٦ ؛ أف

٢ : ٧ ؛ ٢ كو ٣ : ١٢ ؛ غل ٥ : ٢٢) . وفى ترجمات أخرى يمكن أن تستخدم كلمات مثل « عذوبة » و « رقة ». ونفس الكلمة جاءت عندما قال يسوع عن نيره بأنه « هين » (مت ١١ : ٣٠)، أى أنه لا يضايق ولا يثير .

وقد أشار الرسول بولس إلى اللطف باعتباره من ثمر الروح . وهذا ما دعانى دائما للتعجب . إذ أن كل ما قرأته عن بولس جعلنى أتصور أنه رجل يميل إلى الشدة ، وإلى سرعة تقويم الناس بالحجة المفحمة ، وأنه قدير فى الجدل والإقناع . كيف يمكن لرجل مثله أن ينبّر على صفة لم تكن متوافرة له فى حياته الخاصة ؟ ولكن هذا جعلنى أدرك أن الناس يمكن أن يجمعوا بين الإستقامة والصراحة ، واللطف والوداعة فى الوقت نفسه.

السمات الثلاث للطف:

إن اللطف يتضمن ثلاث سمات . السمة الأولى هى الشفقة ومراعاة واعتبار مشاعر الآخرين . فإن القائد اللطيف ينظر بعين الإعتبار إلى ظروف الآخرين ، ولا يمكن أن يتعمد جرح مشاعرهم أو الإستخفاف بهم.

والسمة الثانية للطف هى الطاعة والخضوع . وبالمعنى الكتابى ، تفيد الكلمة الطاعة والخضوع لإرادة الله – ككلمة « حليم » التى استخدمها الكتاب فى سفر العدد ١٢ : ٣ فى الإشارة إلى موسى بقوله :« وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض ». فإن موسى لم يتردد فى معارضة الخطأ والوقوف إلى جانب الحق . لقد كان مطيعاً وخاضعاً لإرادة الله .

ولقد أظهر يسوع نفس هذه الصفة ، خاضعاً لإرادة أبيه . لقد كان فى وسعه أن يسلك طريقاً أسهل ، ولكنه بكل ترحاب ذهب إلى الصليب رافضاً كل التكريم الإنسانى.

والسمة الثالثة للطف هى القابلية للتعلم – عدم التكبر على التعليم ، والقابلية

للتصحيح والتقويم . إن الشخص اللطيف حقاً لا يتوقف أبداً عن التعلم ، بل إنه يستمر دائماً منفتحاً لتقبل كل إدراك وفهم جديد.

أعرف كاتباً محترفاً يتميز بهذه الصفة . هذا الكاتب يقود مجموعتين من الناس يتعلمون الكتابة ، وهو يحرص فى كل أسبوع أن يدعو أعضاء كل مجموعة أن يقدموا كتاباتهم للمجموعة الأخرى لنقدها . ويقول هذا القائد إنه يشعر بأن هذه هى أفضل طريقة للتعلم . بل إنه يؤمن بهذه الطريقة إيماناً قوياً حتى أنه مرات كثيرة يأتى بكتاباته هو الشخصية ويقدمها لطلابه ويطلب منهم نقدها . ومع أن طلابه لا يعرفون دائماً كيف يقومون كتاباته تقويماً صحيحاً ، الا أنه يقول إنه يتعلم كثيراً من ملاحظاتهم ويضيف بإستمرار قوله :« لا يوجد كاتب يمكن أن يدّعى أنه وصل إلى درجة من الجودة بحيث يمكن أن يستغنى عن مساعدة الآخرين ». هذه عينة من اللطف فى العمل ؛ وينبغى أن تكون هذه العينة متوفرة فى كل القادة.

قوة اللطف :

قدم التليفزيون الأمريكى حوالى عام ١٩٧٠ حلقات من سلسلة عنوانها « بن اللطيف » Gentle Ben . كان « بن » دباً ضخماً قوياً ، ولكنه كان محباً للعائلة التى تبنته . ومع أنه إذا أثير كان يستعرض كثيراً من حركات القوة الجسدية ، الا إنه كان يستطيع أيضاً أن يظهر طبيعة لطيفة رقيقة . هذا الدب هو أفضل صورة مجسمة للطف يمكن أن تخطر ببالى .

إن اللطف يمتلك فى ذاته قوة هائلة كامنة فيه . يخطىء بعض الناس إذا ظنوا أن القادة اللطفاء هم قادة ضعفاء . الحقيقة أنهم إذا كان فيهم اللطف الكتابى الصحيح فإنهم يمتلكون ذخيرة داخلية ضخمة من القوة.

اللطف عملياً : يسوع والمرأة :

كما سبقت الإشارة ، لعل أوضح صورة تبرز جانب اللطف فى قيادة يسوع

هى قصة المرأة التى أمسكت فى زنا (يو٧:٥٣ – ٨:١١). ومن الطريف أن بعض الترجمات تشككت فى قانونية هذا الفصل أو وضعته فى قرائن مختلفة . وقد علق أحد الدارسين على ذلك قائلاً : « إن نغمة القصة ، مهما كان الإختلاف حول قانونيتها ، تريتا صورة متميزة عن يسوع ». ونستطيع أن نرى صورة مماثلة فى لو٧ :٣٦ – ٥٠ عن قصة المرأة التى مسحت قدمى يسوع فى بيت سمعان الفريسى.

ومن السهل فى قصة المرأة التى أمسكت فى زنا ، أن نركز التفكير فى الرد الذى أفحم به يسوع قادة اليهود الذين حاولوا أن يصطادوه – وأن نغفل التأمل فى موقفه تجاه المرأة . فلابد أن هذه المرأة قد انكشمت مرتعدة من الخوف من أولئك الرجال الذين أحاطوا بها . ولا بد أن مشاعر الخوف والألم والإحساس بالذنب قد غمرتها . ومع ذلك فقد عاملها يسوع كشخص ، وليس كشىء .

عندما قدم القادة الدينيون المرأة ليسوع ، بدوا وكأنهم لا يقيمون أدنى اعتبار لها كإنسان . كان هناك قصد واحد فى عقولهم ، وهو أن ينصبوا فخاً ليسوع المسيح يصطادونه فيه . أما يسوع ، فإنه لم يكتف بأن يوقفهم عن رجمها ، بل أنه وبخهم وبكّتهم فى الوقت نفسه.

إن أهم ما يعنينا فى هذه القصة فى هذا المجال ، هو الطريقة التى تنتهى بها . فإن يسوع فى النهاية لم يلق على المرأة محاضرة بسبب فسادها وعدم مراعاتها للأخلاق ، كما يمكن أن يفعل قادة كثيرون اليوم . ولم ينذرها بسبب الضرر الذى جلبته على نفسها وعلى عائلتها . ولم يعنفها أو يوبخها أو يسألها : « لماذا سمحت لنفسك أن تنحدرى إلى هذه الحالة ؟ »

ولكنه بدلا من ذلك فعل شيئين :

أولاً ، قبلها ، فقد قال لها : « ياإمرأة أين هم أولئك المشتكون عليك . أما دانك أحد ...ولا أنا أدينك » (يو ٨:١٠ – ١١). وهكذا جعلها يسوع

تدرك أنه يعرف خطيتها ، ولكنه لم يضع عليها حملاً أو عبئاً أكثر .

إنى أعتقد أن معظمنا يحملون ذنوباً كافية لا تحتمل مزيداً يضعه الآخرون فوقها . وعندما نفشل ، نحن ندرك ذلك . ونحن نميل إلى كراهية نفوسنا بسبب ضعفنا أو تفكيرنا بأننا أشرار . أى أننا نشعر بكراهيتنا لأنفسنا إلى درجة لا تحتاج إلى مزيد من الكراهية يظهرها لنا أى شخص آخر .

ولقد تحدث يسوع بحدة مع أولئك الذين أنكروا خطاياهم وحاولوا أن يخفوا سقطاتهم ، ولكنه بالنسبة لأولئك الذين كانوا يشعرون بثقل أحمالهم وخطاياهم وفشلهم ، كان يشجعهم ويترفق بهم . لقد أدان الخطية ، ولكنه كان يرفع معنويات الناس بلطف . يذكرنى هذا الأسلوب بشىء قاله لى أحد الوعاظ ، وهو صديق قديم : « إن العظة ينبغى أن تفعل شيئين — تريح المنزعج ، وتزعج المستريح ».

والأمر الثانى الذى فعله يسوع لهذه المرأة هو أنه غفر لها ، فقال لها : « ولا أنا أدينك . إذهبى ولا تخطئى أيضاً ».(يو ٨:١١).

إنى أقف متعجباً أمام هذه العبارة ؛ فهى بسيطة للغاية ولكنها مباشرة تماماً . وفى هذه الكلمات القليلة قال لها الرب كل ما كانت تحتاج أن تسمعه . أراد أن يعرفها أن خطاياها قد غفرت ، ولكنه حذرها من العودة إليها . إنه لم يضرب على وتر خطيتها ، ولم يلق عليها محاضرة عن التجربة أو يربكها بمفاهيم الأخلاقيات . إن كل ما قاله لها هو « لا تخطئى أيضاً » . وذلك كل ما كانت تحتاج أن تسمعه . إن خطاة اليوم يحتاجون إلى نفس أسلوب الإصلاح والإرشاد من القادة اللطفاء .

هل يجدى اللطف ؟

لى صديق نشأ فى عائلة فقيرة . ومع أنها وفرت له بصعوبة ضروريات

الحياة ، لكنه كان يحتاج إلى شيء آخر. فقد كان صديقى هذا يتميز بالذكاء وبعقل يميل إلى البحث والقراءة . فاعتاد أن يذهب بانتظام إلى مكتبة قريبة حيث وجد فيها ركناً به كمية كبيرة من المجلات ، واكتشف أنه يستطيع أن يختبيء فى هذا الركن ويقرأ خصوصاً المجلات الفكاهية . وكان حريصاً على أن يتركها فى حالة جيدة حتى لا يشكو أحد من تمزيق صفحاتها.

وذات يوم ، لم يكتف بالقراءة ، ولكنه أخذ مجلة منها وخبأها داخل قميصه وخرج بها دون أن يلحظه أحد.

وبعد أيام قليلة عاد ، وبعد أن تيقن بأنه لم يكن هناك أحد يراه ، أخفى مجلتين تحت قميصه وخرج بهما . ولم يمض وقت طويل حتى تكونت لديه عادة سرقة المجلات.

وأخيراً أمسك به صاحب المكتبة وجعله يخرج المجلات من داخل قميصه . فارتعد الشاب عندما افتضح أمره . وفى ذهوله لم يكن يدرى ماذا سوف يفعل الرجل به . ترى هل سيستدعى البوليس ؟ أو يكتفى بإخبار والديه بما فعل ؟

ولكن الرجل بدأ يكلم الشاب بهدوء عن أخذ شيء يمتلكه آخرون . ثم فعل شيئاً مدهشاً ، وهو أنه ربت على كتف الشاب وقال له :« من فضلك لا تفعل ذلك مرة ثانية».

يقول صديقى هذا :« ولم أفعل ذلك ثانية – ولم أنس ذلك الرجل أبداً ، إنه كان يستطيع أن يتصرف معى تصرفاً شديداً ومهيناًوفى حدود حقوقه القانونية ، ولكنه عاملنى بعطف ورفق».

إن الأمر يحتاج إلى قوة عظيمة لكى تكون لطيفاً. وليس كل قائد يعرف كيف يظهر جانب اللطف . إن كثيرين منا يجعلون الأمر أصعب ، لأننا قد ننظر بإزدراء إلى الناس اللطفاء باعتبارهم ضعفاء وعاجزين ، وربما أغبياء . ولكن يسوع قال :« ولا أنا أدينك ؛ إذهبى ولا تخطئى أيضاً ».

إن اللطف قد يكون صفة من صفات القيادة التى فقدناها فى كثير من معاملاتنا فى العمل ، وفى قاعات الدراسة ، وفى بيوتنا ، وحتى فى كنائسنا. لكم نحتاج أن نتذكر هذا الجانب من أسلوب يسوع فى القيادة ، وهو المبدأ الخامس فى دراستنا هذه :

المبدأ الخامس

القائد القوى هو الذى يستطيع أن يكون لطيفاً .

الفصل السادس

عدم التقيد بالتقاليد

بلغت إحدى الموظفات فى خدمة كنيسة محلية سن الخامسة والستين . وكانت لجنة شئون العاملين بالكنيسة قبل ذلك بسنوات قد أصدرت لائحة تحتم التقاعد عند ذلك السن . ولكن هذه السيدة كانت تتمتع بصحة عقلية وجسدية جيدة . ونظراً لبعض الخلافات بشأن تطبيق قانون التأمين الإجتماعى الحكومى عليها فقد طلبت أن تستمر فى العمل سنة أخرى . إلا أن لجنة شئون العاملين قالت :« إن لدينا لائحة ، ولا نستطيع أن نخالف هذه اللائحة ».

وذهب بعض الأشخاص منا لرئيس اللجنة وسألناه قائلين : « أليست هى عاملة ممتازة ؟».

أجاب رئيس اللجنة :« نعم ، إنها من أفضل الأشخاص الذين عملوا معنا ».

قلنا له :« ألا تسد هذه السيدة فراغاً كبيراً ؟ ألا تشغل مركزاً له مسئولياته الكبيرة ؟».

قال :« نعم ، إنها تقوم بعمل شخصين على الأقل ، وبهدوء . ولديها المقدرة على أن تخلق هنا المناخ الذى يجعل كل الأمور تسير فى سلاسة ويسر »

فسألناه :« إذاً لماذا تجبرونها على التقاعد بينما هى قادرة على أداء عملها بصورة جيدة ؟»

فأجاب الرجل قائلاً :« فى الحقيقة ليس قدامنا حرية اختيار ، فأنتم تعرفون اللوائح والنظم » . وأخرج لنا قائمة اللوائح ، وفتحها وقدمها لى لأقرأها وقال لى :« أنظر هنا الفقرة التى ينبغى تنفيذها »

فسألته قائلاً : « ولكن من صنع هذه القوانين ؟» أجاب قائلاً :« لا ندرى .

أقصد أن لجنة معينة فى الماضى حاولت أن تتطلع إلى المستقبل ، فوضعت هذه القوانين لنا لكى نتبعها ».

وقد ناقشت رئيس اللجنة كثيراً ، وجادلته ، والتمست منه ، ورجوته بإلحاح أن يعيد النظر فى القرار. ولكنه ضرب بكل ذلك عرض الحائط ، وكان رده فى كل مرة هو :« هكذا تقول اللائحة...».

يسوع فى مواجهة القوانين :

يسجل لنا انجيل يوحنا ٥:١ – ١٥ شيئاً رائعاً عمله يسوع . فقد كان هناك مريض مقعد ظل بجوار بركة بيت حسدا منذ ثمان وثلاثين سنة . وكان مضطجعاً هناك مرضى كثيرون ، لأنهم كانوا يعتقدون أن ملاكاً كان ينزل أحياناً فى البركة ويحرك الماء . فمن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أى مرض إعتراه .

وجاء يسوع للرجل المقعد وقال له :« أتريد أن تبرأ ؟» (عدد ٦) . وأراد الرجل الشفاء ، فشفاه يسوع.

وبعد أن برىء الرجل حمل سريره ومشى فى طريقه إلى البيت . وكان يمكن أن تنتهى هذه القصة المثيرة الصغيرة عند هذا الحد ، لولا أن البشير يوحنا قد أضاف جزئية صغيرة كان لها أثر كبير فى موقف الآخرين من المعجزة ؛ إذ كتب يوحنا هذه العبارة :« وكان فى ذلك اليوم سبت » (عدد ٩).

وحالما سمع القادة الدينيون عن هذا الشفاء لم يفرحوا أو يشكروا الله على صنع هذه المعجزة المذهلة فى وسطهم ، بل بالعكس غضبوا وقالوا للرجل الذى شفى . إنه سبت . ولا يحل لك أن تحمل سريرك ». (عدد ١٠).

كنا نتوقع أن هؤلاء القادة يفرحون لأن الرجل شفى وتحرر من بؤس ومرض لازمه ثمان وثلاثون سنة . ولكنهم غضبوا وسخطوا لأن يسوع شفى

الرجل فى يوم السبت الذى أمر الله فيه الشعب ألا يعملوا شيئاً . أى أنهم كانوا يفضلون أن يستمر هذا الرجل مريضاً ميئوساً من شفائه بقية حياته ، على أن يتقبل رحمة الله فى يومهم المقدس.

ولا شك أن قيام يسوع بإجراء هذه المعجزة قدم دليلاً جديداً على أن يسوع هو المسيح . ولكن أولئك الذين أرادوا أن ينتقصوا من قدره لم يحاولوا أن يفحصوا الواقعة . لقد رأوا فيه فقط تطرفه وعدم قبوله أن يدخل معهم فى نفس القالب . فحتى فى أيام يسوع كانت المؤسسات الدينية قد صارت مغلفة بقشرة من القواعد والنظم التى استعبدت الناس وجعلتهم يعيشون ليعملوا بدلاً من أن يعملوا لكى يعيشوا . فالقواعد التى كان ينبغى أن تعتبر من لوازم التنظيم ، قد صارت قيوداً . وقد استعبد هؤلاء القادة للنظم واللوائح لدرجة أنهم لم يقيموا وزناً للحاجات الإنسانية.

ولم يتقيد يسوع بما عندهم من عادات وتقاليد حتى أنهم اعتبروا فعلة يسوع واحدة من أردأ الخطايا وهى كسر قوانين السبت ، ولم يستطيعوا أن يتغافلوا عن مثل هذه الخطية . لقد أراد أن يظهر لهم الفرق بين استخدام القواعد وسوء إستخدامها ، بين مساعدة الناس واستعبادهم ؛ وانتهز هذه المناسبة لكى يخبر سامعيه عن علاقته الخاصة مع أبيه.

وهذا يرينا وجهاً آخر لأسلوب قيادة يسوع . فعندما رأى خيراً ينبغى أن يُعمل لم يتوقف ليسأل أى يوم هذا ؟» . لقد كان المريض يحتاج إلى الشفاء . لقد اعتبر يسوع أن الشفقة والرحمة أهم من القوانين . وعبر أحدهم عن ذلك بقوله :« لقد أحب يسوع الناس واستخدم الأشياء ولكن القادة الدينيين أحبوا الأشياء واستخدموا الناس.

ولم يكن القصد من هذه الحادثة تشجيع الناس على التعود على كسر القوانين أو التمرد على التنظيمات ، بل بالحرى ، أراد يسوع أن يعطى صورة حية على أن الناس ينبغى أن يكونوا أهم من القوانين والنظم.

المؤسسات والنظم :

كنت أقوم ببعض الأبحاث عن المؤسسات والحركات الإجتماعية . فلاحظت أنه عند تأسيس أى مؤسسة – مسيحية أو غير مسيحية – كان المؤسسون ينتقدون التنظيمات القائمة من قبل . فمثلاً شركة جديدة تبيع أجهزة الكمبيوتر يمكن أن تفاخر قائلة :« إننا نقدم خدمة شخصية لا تقدم الشركات الكبيرة مثلها ، لأن الموظفين فى الشركة الكبيرة لا يهتمون بخدمة زبائنهم ».

وعندما تتكون طائفة أو جماعة جديدة ، فإن الأعضاء غالباً يشعرون وكأنهم قد تحرروا من الأوهام التى كانوا مرتبطين بها عند انتمائهم للهيئات التى جاءوا منها . وقد ينظرون للكيان القديم بإعتباره قد انهمك فى جمع الثروة فلم يعد يهتم بأشخاصهم ، أو أنه لم يعد يكترث بالناس، بعد أن أصبح خاضعاً للعمل بالقواعد والنظم فقط . وقد يشعر البعض أن الكنيسة القائمة أصبحت تهتم فقط بالمال الذى يدخل خزائنها حتى تستمر برامجها – ولا تهتم « بإطعام الخراف ».

وبمرور الأيام تكبر الكنيسة « الجديدة » ، أو ينمو العمل الجديد ، ويصبح كياناً قائماً . وفى النهاية يسمع المؤسسون الجدد نفس الإتهامات التى كانوا يوجهونها لسابقيهم . ومرة أخرى يبرز قائد شاب ثورى وممتلىء بروح الحماسة والإلتزام ويعلن للجميع أنه ينبغى الإطاحة بالقيود والقواعد الغبية التى تعوق الإنفتاح للوصول للناس ، وأنه مع جماعة جديدة ينبغى أن يتجاوبوا مع الإلهام الجديد للإهتمام بالناس.

وهذا يشبه تماماً ما حدث عندما أعطى الله الناموس لموسي . لقد سلمه الله نظاماً لخير الجماعة . وعبر القرون ، فسر القادة هذا النظام الأساسى وأعادوا تفسيره ؛ وشرحوه وأعادوا شرحه . وبمرور الزمن أضاف المعلمون المتعمقون كثيراً إلى القوانين عن طريق التفسير والشرح المستمر.

ووصل الأمر فى النهاية إلى أن كل يهودى مستقيم الرأى والعقيدة يجب أن يتقيد بمراعاة ٦١٣ التزاماً يومياً . وقسم نفس المعلمين هذه القوانين إلى قسمين : قسم الواجبات الثقيلة (وعددها ٢٤٨ واجباً يومياً) ، وقسم الوصايا الخفيفة (وعددها ٣٦٥ أمراً) . وكانوا يعتقدون أن مخالفة الأوامر الخفيفة لا يستوجب نفس القصاص كمخالفة الواجبات الثقيلة.

العودة إلى الأساسيات :

كان أسلوب يسوع فى القيادة عكس أسلوب الكتبة والفريسيين والكهنة . فعندما كان أولئك يريدون أن يتكلموا بسلطان ، كانوا يستشهدون بتعليم الربيين ويقولون :« كما علم الربى هليل ...». أى أنهم كانوا يشيرون إلى نظام أو وصايا أو تعليم شخص مشهور سبقهم.

أما يسوع ، من الجانب الآخر ، فإنه كان يردد عبارات كهذه العبارة التى قالها فى الموعظة على الجبل : « قد سمعتم أنه قيل ...وأما أنا فأقول لكم ...» (مت ٥:٢٧ - ٤٤). ولم يكن يعنى أنه يريد أن يناقض ناموس موسى أو أن ينقض ما كان الله قد أمر به فى الماضى . بل أنه بالحرى ، عن طريق أعمال كشفاء الرجل المقعد ، أراد أن يبين للقادة الدينيين أنهم قد صنعوا من الوصايا آلهة ، مع أن المفروض أن تكون هذه الوصايا مرشدة لهم للحياة مع الجماعة ولعبادة الله .

وفى أيام وجود يسوع على الأرض كان القادة من الدارسين يتجادلون مجادلات لا نهاية لها حول مسألة:« ما هى أعظم وصية ؟».

وقد أوضح يسوع ذلك وضوحاً كافياً عندما سأله واحد من الكتبة « أية وصية هى أول الكل » (مر ١٢:٢٨) . وقد تضمنت إجابة يسوع اقتباساً من ناموس موسى :« تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك ...وثانية مثلها هى تحب قريبك كنفسك . ليس

وصية أخرى أعظم من هاتين » (مر ١٢:٣٠ - ٣١).

كان اسلوب يسوع فى القيادة هو أسلوب « العودة إلى الأساسيات ». إنه كان يعلم أن القوانين الإلهية قصد بها أن تعين الناس على أن يعيشوا أفضل حياة ، لا أن تعوقهم عن ذلك. ولذلك كان تأكيده فى مكانه ، عندما شدد على معانى الشفقة والمحبة والإخلاص للآخرين ولله - وليس على السلوك المظهرى الخارجى.

أسلوب بولس :

وقد تشبه بولس بنفس إتجاه المسيح فى القيادة ، وأظهر ذلك بوضوح عندما كتب إلى كنائس غلاطية . فقد انهمك المؤمنون هناك فى خضم القوانين والقواعد وغاصوا فى أغوارها حتى كادت تطغى على كل حياتهم . وقد حاول بولس أن يبين لهم كيف حررهم المسيح ، وشرح لهم مفهوم الحرية المسيحية.

ألا يحدث هذا باستمرار فى كنائسنا اليوم ؟ إن كثيراً من المجتمعات الكنسية تبدو ميتة روحياً ، لأنها ترتبط بصرامة بتقاليد بدأت منذ مئات السنين . وبالرغم من الوقار الذى تضفيه على نفسها ، فإنها تتبّر على « وسيلة » العبادة قد صارت الآن تعوق « أداء » العبادة كما ينبغى أن تكون .

وقد فشل كثيرون من المرسلين لأنهم لم يكونوا مرنين إلى درجة تمكنهم من ممارسة الحرية المسيحية . وشيد كثيرون منهم مبانى كنائس يمكن أن تكون مناسبة لتبنى فى بوسطن أو لندن ، لا فى إفريقيا أو آسيا . وحرصوا فى عمارة الكنائس ومظاهر العبادة على الطراز الغربى من مبانى ومقاعد ومنابر وفرق الترنيم والأرواب . ولم يكتفوا بأن أقحموا عناصر حضارية مختلفة تماماً عن تلك الحضارات ، بل إنهم جعلوها جزءاً ممتزجاً بالعبادة.

أعرف ، مثلاً ، مرسلين عملوا فى شرق افريقيا فى الثلاثينيات والأربعينيات . وهناك وجدوا انفسهم فى مواجهة أناس لهم موسيقى خاصة

بهم تختلف فى أدائها وألحانها عن الطريقة الغربية . وعندما حاول أولئك المرسلون بحسن نية ، أن يترجموا الترانيم الغربية إلى اللغة الوطنية وقعوا فى عدة مشاكل وأصروا على تعليم الوطنيين الترانيم بالموسيقى الغربية ، وأحياناً تغاضوا عن المعنى والوضوح من أجل الالتزام باللحن. بل وما هو أسوأ من ذلك ، منع الغربيون الأفريقيين من الترنم بترانيم مناسبة للحضارة الإفريقية ، ظناً من بعض المرسلين بأن هذه الترانيم تمثل الوثنية . وبقدر ما أعرف ، لم يكترث أولئك الغربيون بأن ينصتوا للأناشيد والترانيم الوطنية ويتفهموا معانيها.

ولا أدرى ماذا كان يسوع يقول لهؤلاء المرسلين حسنى النية . ربما كان يقول لهم : « أنتم تهتمون بأذواقكم الموسيقية أكثر من اهتمامكم بحاجات هؤلاء الناس . ولكنى أقول لكم ، دعوهم يفرحون ويبتهجون ، دعوهم يتعبدون بأصواتهم ، بكلماتهم ، وبحسب أسلوبهم فى الموسيقى».

ترى ، كيف يكون رد هؤلاء المرسلين على يسوع ؟ ربما يكون بنفس الطريقة الصارمة التى رد بها القادة على يسوع ، أو أقل قسوة وعنفاً . فبعد أن شفى يسوع الرجل الذى كان بجوار البركة يذكر يوحنا هذه الآية : « ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا فى سبت » يو ٥:١٦)

وضع الأهم أولاً :

إن أسلوب يسوع فى القيادة يضع الناس أولاً ، والتنظيمات أو النظم ثانياً ، الإحتياجات الإنسانية أولاً ، والعرف والتقاليد ثانياً ، ملكوت الله أولاً ، وكل شيء آخر ثانياً . وقد يتطلب التطبيق العملى لهذا ، أن ينتهك القادة التقاليد « المقدسة » وأن يمزقوا الحواجز . ولا شك أن مثل هذا التصرف أحياناً يتطلب شجاعة عظيمة.

إلا أن القادة الذين يتبعون أسلوب يسوع فى القيادة لا يكسرون التقاليد

لمجرد الرغبة فى كسرها . فإن العادات والتقاليد يمكن أن تكون لها فوائد كثيرة . ولابد أنها وجدت لأسباب طيبة . ومع ذلك فعندما تتدخل هذه التقاليد فى الحاجات الإنسانية ، فإن القادة يحسنون صنعاً عندما يكسرون القواعد .

وهذا يقودنا الى إقرار المبدأ السادس فى دراستنا هذه وهو :

المبدأ السادس

القادة الحقيقيون هم الذين يضعون الاحتياجات الإنسانية قبل التقاليد والعادات الإنسانية.

ويبدو هذا المبدأ جميلاً ومقبولاً ، ألا أن الصعوبة تأتى عند محاولة تطبيقه ، عندما نجد أننا نواجه تقاليد كثيرة . وكان فى وسع يسوع أن يستخدم مئات الأمثلة ليبين كيف أن القادة الدينيين فى عصره قد استغلوا الناس واستعبدوهم روحياً ، ولكنه انتقى مثلاً من أهم الأمثلة – وهو ناموس السبت . وربما ذكر يسوع هذا المبدأ واستشهد به لكى يتمكن الناس من فحص كل التقاليد والطقوس والنظم الأخرى بنفس المقياس.

ولا شك أنه مما يضمن لنا صحة وسلامة قرار « كسر قواعد العرف والتقاليد » أن نراعى تعريف يسوع للوصية الأولى – وهى محبة الله من كل قلوبنا ؛ فقد ربط الله هذه الوصية بمحبتنا لأقربائنا إلى درجة يمكن معها عملياً اعتبار الأمرين بمثابة وصية واحدة . إذ كيف يمكن أن نظهر محبتنا لله أفضل من الكيفية التى نعامل بها الناس ؟

خلاصة القول إن القائد الحقيقى يستخدم المحبة باعتبارها المقياس الذى يجيز كسر القواعد والتقاليد لمواجهة الحاجات الإنسانية.

الفصل السابع

السخاء

التحق رجل بإحدى الكليات فى سن الخامسة والعشرين . وكان قد حاول أن يعمل فى وظائف مختلفة ، ولكنه أدرك أخيراً أنه ينبغى أن يكمل تعليمه. وفى أثناء السنة الثانية لدراسته توطدت علاقته مع أحد الأساتذة.

وبعد بضعة شهور قال الأستاذ للطالب المذكور :« يا بوب ، إن لك عقلاً يستوعب كل ما أعلمه ، بل إنك متفتح دائماً وتطلب المزيد من المعرفة ».

وبعد عام آخر قال نفس الأستاذ لـ :« بوب » : « لقد علمتك كل شيء أعرفه . وبصراحة ، فإن قدراتك تتجاوز قدراتى وتفوقها . ولذلك أعتقد أنك تحتاج للإنتقال إلى مدرسة أخرى مختلفة حيث تستطيع أن تجد فرصة أفضل وأحدث للتعليم ». لقد أحب هذا الأستاذ تلميذه لدرجة أنه أراد أن يتفوق هذا التلميذ عليه . وليس هناك كثيرون يمكن ان يكونوا على نفس هذا القدر من الكرم والسخاء.

وحدث أن صيدلياً رأى شاباً نابهاً وكان عضواً فى كنيسته . وأدرك الصيدلى أن هذا الشاب يملك قدرات كبيرة وأنه يرغب فى مواصلة دراسته الجامعية ، ولكنه لم يكن يستطيع. فقد كان يتيماً ، واضطر بإعتباره الإبن الأكبر – أن يعمل ليعول أخويه الأصغر منه.

وصلى الصيدلى طالباً إرشاد الرب ، وبعد ذلك قرر أن يعطى للأخوين فرصة للعمل بعض الوقت فى صيدليته لكى يتفرغ أخوهما الأكبر للدراسة . كما أقرض ذلك الشاب كل ما كان يحتاج إليه من مال لكى يستكمل دراسته.

ومرت خمس سنوات ، استطاع ذلك الشاب فى نهايتها أن يحصل على درجة الماجستير وأن يؤمن مستقبله مادياً . فجاء إلى الصيدلى وهو يدرك فضله عليه ، وبدأ حديثه بقوله له : « إننى سأسدد دينى لك بواقع مائتى دولار شهرياً».

ولكن الصيدلى هز رأسه قائلاً : « لقد أقرضتك ذلك المبلغ من المال ، ولكننى لا أريده ثانية . إننى أرجو أن تبحث عن شاب أو شابة يستحق مثل هذه المعاونة مثلك وتعطى هذا المبلغ له».

لقد كان كل من ذلك الأستاذ وذلك الصيدلى يملك روح السخاء . ولا شك أن مثل هذه السمة لازمة لكل من يريد أن يقتدى بنموذج قيادة المسيح.

سخاء يسوع

هناك حادثة تبين إتجاه البذل والسخاء الذى اتسمت به خدمة يسوع المسيح ، وهى حادثة إشباع الخمسة آلاف (يو ٦ : ١-١٤). وهى المعجزة الوحيدة التى جاء ذكرها فى البشائر الأربعة ، مما يدل على أنها تركت أثراً عميقاً على الجميع فى الكنيسة فى أيامها الأولى.

والذى حدث هو أن يسوع أخذ غذاء ولد واحد وجعل الطعام يتكاثر حتى صار كافياً لإشباع كل الناس الحاضرين . وذكر البشيرون أن عدد الرجال كان نحو خمسة آلاف ، بخلاف النساء والأطفال.

وتظهر هذه المعجزة سخاء يسوع فى تدبير احتياجات الناس . كان فى وسعه أن يرسل الجمع إلى بيوتهم ، وكان فى وسعه أيضاً أن ينذرهم من الصباح باليوم الطويل أمامهم وبحاجتهم إلى الطعام ، وكان يستطيع أن يهز كتفيه بعدم مبالاة كما لو أنه يقول : « هذه ليست مشكلتى . أنا غير مسئول».

وقد أدرك التلاميذ المشكلة ، وعرفوا أن الناس لا بد أنهم جاعوا . ولكنهم ، من وجهة نظرهم ، كانوا يعتقدون أن يسوع لم يكن ملزماً أن يفعل شيئاً

لهم . فلم يكن هو الذى حثهم على إتباعه . ولذلك قدم التلاميذ للرب إقتراحاً معقولاً « الموضع خلاء والوقت مضى . إصرفهم لكى يمضوا إلى الضياع والقرى حوالينا ويبتاعوا لهم خبزاً....»(مر ٦:٣٥ ، ٣٦) . ومن كان يلوم يسوع لو أنه فعل ذلك ؟ بل إن مثل هذا التصرف سيكون معقولاً ومنطقياً فى نظر كل واحد . ولكن يسوع لم يصرفهم ، بل دبر لهم ما يحتاجون إليه. وهذا هو سخاء يسوع المسيح. إنه يعطينا عندما لا يكون لنا أى حق للمطالبة بشيء ، أو حجة يمكن أن نسأل على أساسها ، وبدون أية توقعات من جانبنا.

لقد دبر يسوع لإعالة الناس ما لم يستطيعوا هم أن يدبروه لأنفسهم . وفى هذه الحالة التى أمامنا ، نجد أنه دبر لهم الطعام . وبالنسبة للإنسان الأعمى فى يو ٩ أعطاه البصر . وفى عرس قانا الجليل فى يو ٢ لم يكن للضيوف أى سبب يدفعهم للتوقع أن يسوع سيملأ الأجران بالخمر بعد أن فرغت الخمر منها . ولكن يسوع فعل ذلك بسخاء . وهذا يقودنا إلى إدراك المبدأ التالى فى القيادة وهو :

المبدأ السابع : القادة الحقيقيون المخلصون يعطون بسخاء.

السخاء التنفيذى:

إن القادة الصالحين ليسوا هم الذين يدوسون الناس بأقدامهم ويرتفعون إلى القمة على أكتاف الآخرين - بعكس الأسطورة الشائعة بين الناس . فنحن أحياناً نفكر فى أولئك الذين هم « على القمة » بإعتبار أن شعارهم وإتجاههم هو : « أنا شققت طريقى ووصلت ، ولتشق أنت طريقك بمعرفتك ». ولكن اختبارى يؤكد عكس هذا. فإن الذين يصلون إلى القمة - خصوصاً أولئك الذين يصعدون من القاعدة - يعرفون مقدار المصاعب والمفشلات التى تواجه التسلق المشترك ، ويعرفون أيضاً أهمية الحصول على معاونة الآخرين وعدم إمكانية الإستغناء عنهم.

منذ بضعة سنوات قامت إحدى المجلات بدراسة عامة عن حياة واختبارات عشرين من رؤساء أكبر المؤسسات الوطنية . فشهد كل واحد منهم فى إختباره أنه لقى أعظم دعم وتعزيز عندما رآه شخص ما أعلى منه وتأثر بقدراته فصادقه وشجعه وأعطاه دفعة إلى أعلا . بل إن أحد هؤلاء القادة أضاف الى حديثه قوله :« فى كل مرة كان معلمى وناصحى المخلص يتحرك إلى أعلى ، كان يأخذنى معه درجة إلى فوق ».

وعندما قرأت تلك المقالة ، أذهلتنى صفة معينة ذكرت فيها وهى :البذل والسخاء ، فيبدو أن أولئك الذين استطاعوا أن يصلو إلى القمة ، لا يمثلون نوعية الناس الذين يدوسون بأقدامهم الآخرين الذين لم يعودوا ذات نفع لهم . بل إنهم أولئك القادة الذين أجادوا التعاون والعمل مع الآخرين . وهكذا استطاعوا أن يصلوا إلى مراكزهم التنفيذية . فقد ساعدوا الآخرين ، حتى عندما كان فى الإحتمال أن تؤدى هذه المساعدة إلى منافسة هؤلاء لهم.

ومنذ أن قرأت تلك المقالة قابلت مديرين مسيحيين عديدين ، أو سمعت عنهم من آخرين . ومع أنهم ليسوا جميعاً يقدمون المثل فى السخاء ، ولكن كثيرين منهم يفعلون ذلك.

وعندما أتحدث عن السخاء ، أقصد بذل النفس دون انتظار لمقابل . أنا لا أعنى العطاء فى انتظار الأخذ ، كما أنى لا أعنى أنك تقدم المعونة لإنسان وتظل دائماً تذكره بأنه مدين لك.

إن القادة الأسخياء لا يتوقف دورهم عند حد تقديم النصيحة المخلصة ، ولكنهم يمدون يد العون لدائرة أوسع من الناس ، ويشجعون الجميع ويريدون النجاح للآخرين.

كان Cecil B. Day قائداً من هذا النوع . فقد أسس مجموعة من الفنادق فى أمريكا والمعروفة بإسم Day's Inns ، وهى سلسلة من الفنادق يربو عددها على ثلثمائة فندق . وقد روعى فى تصميم هذه الفنادق وأسعارها أن تكون مناسبة

لذوى الدخل المحدود من المسافرين ولموظفى الحكومة وللعمال الآخرين الذين يتقاضون أجراً يومياً.

وقد نشأ Cecil فى بيئة متواضعة واستطاع أن يؤسس سلسلة الفنادق بملايين الدولارات . وقد أصبح معروفاً بأنه الرجل الذى كافح وعمل جاداً لكى يعطى المال لكافة المجالات التى تمجد الله ، وقبل وفاته كان قد أعطى كل شيء . ويذكر عنه أنه كان دائماً يعطى الفرص للشباب المستحقين ، وللكارزين ، وللخدام ، وللعاملين المسيحيين الآخرين . كانت حياته حياة العطاء.

كيف يعطى القادة ؟

إن السخاء لا يعنى فقط إعطاء المال . فالقادة الذين يدركون مفهوم محبة يسوع يعرفون أنهم يستطيعون أن يعطوا من أنفسهم بطرق تفوق عطاء الأمور المادية .

فكيف يفعلون ذلك ؟

١ - **إنهم يعطون وقتهم** :فهم لا يدخرون وسعاً فى الإستفادة بوقتهم للخدمة بطرق كثيرة . فكثيرون من أكثر العلمانيين تأثيراً وفعالية فى خدمة الكنيسة ، جاءوا من مراكز ومواقع عمل قيادية فى دوائر الأعمال المختلفة . قال مدير مبيعات شركة تعبئة لحوم :« إننى أعطى صاحب العمل أفضل ما عندى . وفى الكنيسة أنا أستخدم المبادىء التى تعلمتها من العمل - أستخدمها فى خدمة يسوع المسيح ». هذا المدير المشغول يعمل رئيس برنامج الكرازة فى كنيسته .

٢ - إنهم يعطون إنتباههم واهتمامهم:

عين مدير جديد وكان أول ما قاله لموظفيه « إن بابى مفتوح لكم ، إذا شعر أى واحد منكم أنه يحتاج إلى شخص ما يتحدث اليه ، ففى إمكانه أن يجدنى دائماً مستعداً للإصغاء له».

ولم يغير هذا المدير سياسته طيلة ست عشرة عاماً . صحيح أن الموظفين لم يكونوا دائماً يستطيعون أن يلتقوا به بالسرعة التى يرغبونها ، ولكنه – بطريقة ما – استطاع أن يفسح وقته لهم . وقالت مرة إحدى السكرتيرات فى شركته :« حدثت معى مشكلة فى البيت كادت تحطمنى . فإتصلت به تيلفونياً لأنى كنت أحتاج إلى أن أتحدث إلى شخص ما . ولأنى أعرف أن جدول أعماله مزدحم ، سألته :« هل أنت مشغول جداً ؟ ألا تستطيع أن تتحدث معى بضعة دقائق ؟ أنا أعرف كم أنت مشغول ...». فقاطعنى المدير قائلاً :« لا يمكن أن أكون مشغولاً أبداً عن الناس ». وظل يتحدث معها بالتليفون عشرين دقيقة .

وتقول السكرتيرة :« إنه لم يحل مشكلتى ، ولكنه جعلنى أدرك كم كان يكترث ويهتم . إن مجرد أن يعطى من وقته لينصت لى ساعدنى كثيراً على أن أتخلص من التوتر والألم».

٣ – إنهم يعطون من إختبارهم:

إن أحسن القادة قد تعلموا دروساً كثيرة وهم يصعدون صوب القمة. وهم يرحبون بأن يفيدوا الآخرين بالخبرات التى تعلموها . قال مرة أحد كبار المديرين لمساعديه الثمانية :« إن أمامى أربع سنوات أخرى قبل أن أعتزل العمل . ويسعدنى أن أساعدكم بكل وسيلة ممكنة . ولكنى لا أقدم المساعدة لمن لا يطلبها. إذا طلبتموها ستنالونها ». ومع أنه لم يقلها بصراحة ، إلا أنه كان يقصد أن واحداً من العاملين معه يخلفه فى مركزه عندما يصل إلى سن الثامنة والخمسين . وبالفعل خلفته سيدة فى الثالثة والأربعين من عمرها ، كانت ممتلئة حماساً ، وأخذت كلامه مأخذ الجد فظلت تراقبه أثناء العمل وتسأله أسئلة كثيرة ، وهى تتطلع إلى طرق جديدة أكثر كفاءة وفعالية فى إدارة العمل بجوانبه المختلفة . وقد أعطاها ذلك المدير المعاونة التى كان قد وعد بها.

مبدأ العطاء:

قال يسوع: « مجاناً أخذتم ، مجاناً أعطوا ». مت ١٠:٨ . واستعار بولس كلام يسوع فقال : « مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » أع ٢٠:٣٥.

إن المبدأ المستفاد هنا هو أننا لا نخسر عندما نعطى ، بل بالعكس إننا نربح . وقد يبدو هذا أمراً غريباً بالنسبة للنفعيين ، ولكن الواقع أن هذا المبدأ يتحقق بالفعل . فعندما يعطى القادة من أنفسهم ، فإنهم يجعلون الموظفين أكثر كفاءة فى العمل ، ويجعلون العلاقات أحسن . إن العطاء يجعل « القانون الذهبى » أسلوباً عملياً فى الحياة.

إن معظمنا ، بطبيعته ، لا يفضلون العطاء . ولكننا نتعلم السخاء عادة لأن شخصاً ما قد أظهر لنا ذلك بالقدوة وبالمثال . فلا شك أننا عندما نذكر أننا قد حصلنا على المعاونة من إنسان محب أو صديق أو زميل أو رئيس ، فإننا سنرغب أن نفعل المثل مع إنسان آخر.

روح السخاء:

إن السخاء يعبر عن نفسه بكل الصور والأشكال . وهو يظهر بوضوح عندما يخطط القادة مقدماً ، ليكون الطريق أسهل بالنسبة للذين يتبعونهم . فعندما يحث القادة أتباعهم ويشجعونهم على النمو والإمتداد ، وعندما يعلمونهم ويؤهلونهم ويزودونهم بالإمكانيات – هذا هو السخاء ؛ ولكنهم ليسوا ملتزمين بذلك تجاه العاملين ، بل إنهم قد تقل مشاكلهم كثيراً إذا ظل العاملون فى نفس مواقعهم دون تغيير.

على أية حال ، إن السخاء الحقيقى يأتى من الأعماق ، مهما كان الشكل الذى يتخذه . فإن صاحبه لا يظهره لمجرد اكتساب تقدير الآخرين أو ولائهم.

من بين أكثر رجال الله ، المملوئين بروح السخاء الذين قابلتهم ، رجل بسيط التعليم ، ولم تكن له مواهب بارزة أو متميزة . دعنى أطلق عليه اسم

« كلود » .

بينما كان « كلود » يشغل وظيفة كل الوقت يقوم فيها بعمل يدوى شاق ، أصبح يهتم بالناس فى حى فقير فى مدينته . فاستأجر بيتاً واشترك مع زوجته وإبنتيه فى إنشاء كنيسة فى ذلك البيت . وبدأ الناس ببطء يترددون على الكنيسة . ولم تمض ست سنوات حتى اتسعت دائرة الشركة فى الكنيسة فترك « كلود» عمله اليدوى وتفرغ لخدمة الكنيسة .

وحدث أيضاً أن شاباً كان قد قبل يسوع المسيح فى كنيسة « كلود » ، ترك الكنيسة . وفى أحد أيام الآحاد ، بينما كنت فى زيارة « كلود فى بيته ، تحدث إليه الشاب تليفونياً.

وبعد أن انتهت المكالمة قال « كلود » لزوجته وابنتيه أن ذلك الشاب أخبره بأنه يريد أن ينشىء كنيسة فى الطرف الآخر من الشارع. ومعنى ذلك أنهما سيحاولان العمل فى نفس المنطقة ومع نفس الناس.

فسألته زوجته :« وماذا قلت له ؟»

قال « كلود » رحبت بذلك وقلت له أن هناك عدداً كبيراً من الناس مما يتيح لنا وله العمل ». وابتسم « كلود » ابتسامة وضحت صدقه وإخلاصه . وكانت آخر عبارة قالها للشاب بالتليفون :« فلتبدأ أنت من أحد طرفى الشارع ، وسأبدأ أنا من الطرف الآخر - وسوف نلتقى فى منتصف الطريق».

هذا هو السخاء!

حدث عكس هذا عندما بنى راعى إحدى الضواحى فى مدينة أخرى كنيسة كبيرة الحجم . وبدأ يهتم بالوصول إلى الأحياء السكنية الجديدة خارج المدينة . ولأنه كان ينتمى إلى طائفة تحرص عند إنشاء الكنائس الجديدة على التنسيق مع الكنائس القائمة من قبل ، اشترك مع أعضاء كنيسته فى الإتصال بثلاث

كنائس أخرى وأخبرهم بالفكرة قائلاً: « إننا ننوى أن نفتتح كنيسة تابعة لنا ، وسنظل نرعاها ونشجعها حتى تكبر بقدر كاف يمكنها من الإعتماد على نفسها ». وإذا بممثلى إحدى هذه الكنائس وهى تقع على بعد خمسة أميال من موقع الكنيسة الجديدة المقترح إنشاؤها يصرخون ويصيحون غاضبين وقائلين : « لا يمكن أن تذهبوا إلى هناك ، إنكم إذا ذهبتم هناك تقتربون من منطقة تعتبر هدفاً من أهدافنا».

ولم يكن أمام الكنيسة صاحبة الرؤيا إلا أن تتراجع ، ظناً منها أن الكنيسة المعترضة ستعمل جاهدة للوصول إلى الأعضاء فى المجتمع الجديد فى تلك المنطقة المقترحة . ومرت خمس سنوات بعد ذلك ، ولم تعمل الجماعة المعترضة شيئاً . يبدو أنهم لم يكونوا جادين أن يعملوا شيئاً ، كما أنهم لم يكونوا يريدون أيضاً أن يدعوا غيرهم يعمل شيئاً . ومن المؤسف أننا لا نزال نجد مثل هذا الإتجاه سائداً فى عالمنا – حتى بين شعب الله.

ولكن القادة الأسخياء ليس لهم مثل هذا اللون من التفكير . إنهم يجدون الفرح والسرور فى العطاء والمشاركة . وهم يدركون المبدأ – أن القادة المخلصين هم الذين يقتدون بيسوع ، فيعطون بسخاء .

الفصل الثامن

الصدق

انتهت المسرحية التليفزيونية بلحظة مثيرة . كان الطبيب فى المسرحية قد فحص الزوج بمختلف الطرق واتجه الطبيب للزوجة بنتائج الفحص .

قالت الزوجة :« من فضلك أخبرنى بالنتيجة يادكتور» .
فسألها الطبيب :« هل تريدين الحقيقة ؟ »
قالت :« نعم ، طبعاً ».

ولقد شاهدت هذا المنظر فى التليفزيون عدة مرات ، وسمعت أنه يحدث كثيراً فى الحياة الواقعية . وكنت أتساءل دائماً :« ترى هل يمكن أن يجيب الإنسان مثل هذا السؤال بأية طريقة أخرى ؟ ترى كم من الأشخاص يمكن أن يقول بصراحة :« لا ، من فضلك إكذب علىّ . أشعرنى بأننى على ما يرام . لا تقل لى الصدق ؟».

إننى أعتقد أن كثيرين منا لا يريدون أن يعرفوا الحقيقة عن أشياء كثيرة . ونحن نجد لأنفسنا طرقاً كثيرة للإختباء من الحقيقة أو لإخفائها . وقد رأيت هذا يحدث بين جماعات المشاركة ، وجماعات النمو والإمتداد ، وجماعات الصلاة . والأمر كله يبدأ عندما يواجه شخص ما شخصاً آخر ، فيرتبك الشخص الآخر فوراً ، وسرعان ما ينكر ما يواجهه به الشخص الأول .

ولا يحب أى شخص أن يرى الناس فى أعماله ما هو أقل من الكمال . وبنفس أسلوب التفكير ، نحن نميل عادة إلى رفض عبارات الإطراء والمديح للأعمال الطيبة . أى أننا ببساطة لا نعرف كيف نتعامل مع الحقيقة والصدق .

ما هو الحق ؟

هناك دعابة قديمة تقول : « توجد ثلاثة جوانب لكل قصة : جانبك أنت ، وجانب الشخص الآخر ، وجانب الحقيقة » . والعبرة فى هذه الدعابة هى أننا دائماً نحب أن نلوى الحقائق لتكون فى صالحنا – سواء بحذف بعض الوقائع أو بإضافة شىء آخر للحق .

ويروى لنا إنجيل يوحنا حواراً مذهلاً بين يسوع وبيلاطس فى موضوع الحق . حدث هذا عندما جاء القادة اليهود بالرب أمام الحاكم لمحاكمته وإدانته . وعندما سئل يسوع عما إذا كان هو ملكاً ، أجاب يسوع : « أنت تقول إنى ملك . لهذا قد ولدت أنا ، ولهذا قد أتيت إلى العالم ، لأشهد للحق . كل من هو من الحق يسمع صوتى » (يو ١٨:٣٧)

وواصل بيلاطس الحوار بسؤال آخر : « ما هو الحق ؟ » (عدد ٣٨). ولا بد أنه لم يكن يتوقع إجابة على هذا التساؤل ، بدليل أنه تحول حالاً للقادة اليهود وقال لهم : « أنا لست أجد فيه علة واحدة ». ولا بد أن بيلاطس قد افترض ايضاً أنه لا يوجد أى شخص يستطيع أن يجيب على هذا السؤال : « ما هو الحق ؟ » .

ولكن يسوع كان قد أجاب على سؤال بيلاطس قبلاً فى مرة أخرى سجلها إنجيل يوحنا . ففى الليلة التى ودع فيها تلاميذه قبل القبض عليه أعلن أنه هو « الطريق والحق والحياة ». (يو ١٤:٦) .

إن يسوع هو الحق المتجسد ، وهو يقف إلى جانب الحق ، ويرفض أن يحيد عنه . ولم يستطع أى شخص آخر أن يقدم لنا نموذجاً للحق لكى نتبعه أفضل منه . وكما تقول مقدمة البشارة الرابعة : « الناموس بموسى أعطى ، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا » (يو ١:١٧) . ولا يعنى الكاتب أنه لم يكن هناك حق قبل مجىء يسوع إلى الأرض – بل إنه قصد فقط أن المسيح

هو الحق النهائى والمطلق.

وكتلاميذ للحق ، علينا مسئولية أن نخبر الآخرين بالحق . فمع أنه لا يوجد بيننا من يرى أو يعرف كل الحق ، إلا أنه لا يوجد لنا أى عذر نستطيع أن نبرر به تجنبنا قول الحق . فإذا كنا ندعو أنفسنا مسيحيين ، فهذا يعنى – إلى جانب أشياء أخرى كثيرة – أننا نقف إلى جانب كل ما هو حق . ولنلاحظ كيف يضع بولس الحق فى مقدمة هذه القائمة المعروفة :

«أخيراً أيها الأخوة كل ما هو حق ، كل ما هو جليل ، كل ما هو عادل ، كل ما هو طاهر ، كل ما هو مسر ، كل ما صيته حسن ، إن كانت فضيلة ، وإن كان مدح ، ففى هذه افتكروا» فى ٤:٨ .

وفى القيادة ، ربما أكثر من أى مكان آخر ، يجب أن يسود الحق ، وأن يكون دائماً مرعياً . فإذا لم يستطع الناس أن يثقوا فى كلام قادتهم ، فبمن يمكن أن يثقوا ؟ وإذا كذب القادة أو استهانوا بالحق ولم يبالوا به ، فأى نموذج هذا الذى يمكن لهم أن يقدموه للناس الذين يقودونهم ؟

قول الحق

لا يكفى أن نتحدث «عن» الحق ، بل يجب أن نتعلم أيضاً أن نقول الحق ذاته . وهذا ليس أمراً سهلاً دائماً .

على سبيل المثال ، منذ بضعة سنوات ، كنا فى إحدى المؤتمرات ، واستمع عدد كبير منا إلى متكلم مشهور . ومع أنه كان ذائع الصيت ، إلا أننا لم نكن قد استمعنا إليه من قبل . ولم يعجب أى واحد منا برسالته فى تلك الليلة ؛ فالحقيقة كانت كما لو أنه ألصق خمس رسائل معاً وحاول أن يمزجها معاً ولكنه لم يوفق .

وكان ذلك المتكلم صديقاً حميماً لزوجين أعرفهما جيداً . فدعوته معهما

لتناوُل القهوة بعد الإجتماع . وأثناء وجودنا معه حول المائدة سألنا قائلاً : « ما رأيكم فى الرسالة ؟ »

وكان سؤاله مفاجئاً وكأنه ألقى قنبلة . وتطلعت إلى وجوه الآخرين وقد بدا عليهم جميعاً الإرتباك وهم يبذلون جهداً كبيراً ليعرفوا كيف يجيبونه . فأجابه الأول بلباقة قائلاً :« لقد تكلمت بحماس وإخلاص . أنت بحق تحب أن تتكلم أمام الجمهور ، وأنا متأكد أنك لمست أناساً كثيرين» . وأجاب الثانى وكان أقل تهيباً من الأول وقال :« لقد بذلت كل ما فى وسعك ، أليس كذلك ؟ وأنا واثق أنك قمت بإستعداد كبير لهذه الرسالة ». وابتسم المتكلم إزاء ذلك ، ثم التفت الىّ منتظراً إجابتى.

ولم أدر ماذا أقول . فالحقيقة أنى لم أُسر بالرسالة ، خصوصاً وأنه تجول كثيراً فى الكتاب بدون غاية واضحة ، كما أنه أساء إلى حد ما تطبيق بعض الآيات الكتابية . ولم أرد بأن أكذب ، كما أنى لم استطع أن أفكر بنفس السرعة التى فكر بها الزميل الثانى . كما أن صمتى يعادل قولى :« أننى لم أسر بالرسالة » ، ولم أكن أريد أن أجرح مشاعره. وأخيراً قلت:« بصراحة لم استطع أن أركز ذهنى فى الرسالة ولذلك فمن الأفضل ألا تسألنى» .

ولم أكن راضياً عن هذه الإجابة . ووددت لو استطعت بمحبة أن أقول شيئاً آخر كهذا « أنا لم أسر برسالتك ، لكن إذا كان الأمر يهمك ، ربما نتمكن من اللقاء فيما بعد وسأحدثك بالتفصيل ».

وحدث بعد ذلك أنى تحدثت مع أحد الأصدقاء عن ذلك المأزق فقال لى :« لولا أن الناس يحبون أن يسمعوا الحق لما كانوا يطلبون ذلك ». ولم أعلق على قول هذا الصديق أيضاً. ولكننى أعتقد أن ذلك المتكلم لم يكن يطلب أن يسمع الحق ، لعله كان يريد أن يسمع التملق والإطراء وليس الحق.

أعترف أن قول الحق مشكلة تواجهنى كثيراً . صحيح أن شفتى لا تسمحان

بالنطق بالأكاذيب الصارخة ؛ ولكن الذى يقلقنى هو أنصاف الحقائق ، والتلميح والتعريض والغمز وأحياناً الصمت ، وابتسم عندما يستبد بى الصراع الذهنى . وقد أتجنب المواجهة لأنى لا أريد أن أجرح مشاعر شخص آخر . ومرات كثيرة ينتهى الموقف بعدم قول الحق - أو على الأقل كل الحق.

إساءة معاملة الحق :

عندما نقول أقل من الحق ، فإن هذا هو عين الكذب . وهناك طرق كثيرة لذلك نقدم منها هذه الأمثلة :

* عندما نرنم ترانيم التكريس مثل :« لتكن إرادتى كما تشاء بين يديك » أو « سيدى إمتلك حياتى كرسنها لك »، ولكننا فى نفس الوقت لا نحافظ على هذا العهد.
* أن نظل صامتين عندما ينبغى أن نتكلم . إن صمتنا كثيراً ما يعنى القبول أو الرفض.
* عندما نعطى وعوداً لا ننوى الوفاء بها.
* عندما نقول للناس :« ينبغى أن تأتوا وتزورونا » مع أننا نشعر أنهم سيخدعوننا لو أنهم فعلوا ذلك.
* عندما نشعر الآخرين بأننا قد حققنا إنجازات روحية مع أننا فى الحقيقة لم نحقق شيئاً.

ومن المؤسف أن عالمنا يجد مبررات للأكاذيب ، بل وأحياناً يشجعها . قال أحد الخبراء مرة فى اجتماع للمديرين إن دوائر العمل الأمريكية قد أصبحت معتادة على الأكاذيب فى طلبات الوظائف لدرجة أن أصحاب العمل أصبحوا ينظرون إلى أصحاب الطلبات الصادقة بإعتبارهم أغبياء لا يستحقون توظيفهم ، وأن الذين يقولون الحق ليسوا أذكياء بقدر كاف لنجاحهم.

لذلك ، لا غرابة أن بعض القادة لا يريدون أن يظهروا أنهم بسطاء أو

سذج لدرجة أنهم لا يقولون إلا الحق.

القسم :

إن نضالنا حتى لا نقول أقل من الحق الكامل لا ينبغي ألا يدهش أحداً. فالكتاب المقدس يبين أننا فى العادة غير أمناء . ويرينا الأصحاح الثالث من سفر التكوين كيف أن أبوينا الأولين قد ضلا بعيداً عن الحق عندما واجههما الله بعصيانهما.

وربما كان ذلك هو أكبر سبب لطلب القسم فى المسائل القضائية . وبهذا نحن نعترف بأن الميل الطبيعى فينا هو نحو عدم قول الحق.

كان لليهود الأقدمين مثل يقول :« إن الشخص الذى ينطق بكلمة ثم يغيرها هو شريرا كعابد الأوثان تماماً». وهكذا كان الكذب يعتبر شيئاً خطيراً ، نظراً لأنه لم تكن هناك خطية تعتبر أكثر كراهة وشناعة من عبادة الأوثان . فالقسم فى تلك الأيام كان معناه الإلتماس أن يكون الله شاهداً على أن المتكلم كان ينطق بالحق فقط. وكان هذا بالتأكيد جزءاً من مضمون الوصية :« لا تنطق بإسم الرب إلهك باطلاً» خر ٢٠ : ٧. ومعنى ذلك أن تلك الوصية كانت تدين إعطاء الوعود بإسم الرب – الوعود التى لا يمكن تحقيقها أو التى لن تتحقق. ويعلن الرب فى سفر عدد ٣٠ : ٢ « إذا نذر رجل نذراً للرب أو أقسم قسماً أن يلزم نفسه بلازم فلا ينقض كلامه . حسب كل ما خرج من فمه يفعل».

وكان القسم فى الأصل يشير فقط للأمور الخطيرة ، كالأمور التى تتعلق بالحياة والموت . وبمرور الزمن بدأ الناس يستخدمون القسم فى الأمور التافهة . وهذا ما يحدث مثلاً عندما نساوم مع تاجر على سعر سلعة ما إذ يقول التاجر إن هذا هو السعر النهائى ، ويقسم بإسم الله على صدق ما يقول ، بل ويضيف بقسم آخر إن هذا هو أصل السعر بدون أى ربح ، بينما يعرف كل منا أنه يكذب ، والدليل أنه بعد ذلك يخفض السعر الذى ذكره ،مما يدل أيضاً على

أن قسمه لم يكن يعنى شيئاً .

وفى مقابل ذلك ، قال يسوع فى الموعظة على الجبل : « لا تحلفوا البتة...بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا . وما زاد على ذلك فهو من الشرير». مت ٥:٣٤،٣٧.

يسوع والحق :

إن يسوع لم يعلمنا فقط أن نقول الحق ، بل لقد كان هو بنفسه الحق مجسماً . فبعد الخيانة وقف يسوع أمام رئيس الكهنة الذى سأله عن تلاميذه وعن تعليمه ، فأجابه يسوع « أنا كلمت العالم علانية . أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً . وفى الخفاء لم أتكلم بشىء . لماذا تسألنى أنا . إسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم . هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا » . (يو ١٨ : ٢٠ — ٢١)

إن يسوع لم ينكر الحق ، ولكنه أيضاً لم يعرضه متباهياً به . بل كان يسمح للناس عادة أن يلاحظوا الحق ويدركوه بأنفسهم . فلم يخبر تلاميذه بصراحة مثلاً أنه كان المسيح ، ولكنهم أدركوا أخيراً أنه هو المسيح وهذا هو الأسلوب الذى اتبعه يسوع لإعلان الحق .

ومن الجدير بالذكر ، أن تهمة الكذب لم تكن متضمنة فى قائمة الإتهامات الموجهة ضد يسوع . لقد قال أعداؤه إنه جدف لأنه حسب نفسه معادلاً لله ، واتهموه أنه رجل به شيطان . واتهموه بالعمل فى يوم السبت المقدس لأنه شفى المرضى فيه . ولكن حتى أسوأ من أرادوا أن يحطوا من قدره ، لم يستطيعوا أن يمسكوا عليه كذبة واحدة — لأنه كان يقول الحق .

الحق والمحبة :

لا يكفى مجرد قول الحق ، فإن الطريقة التى نقوله بها لا تقل أهمية أيضاً .

ألسنا نعرف كلنا أناساً يقولون الحق ــ حاسماً وقاطعاً وبوضوح ؟ أعرف رجلاً يعبر عن آرائه ووجهات نظره فى كل شيء ، بغض النظر عن أى اعتبار . ثم يدافع عن أعماله وتصرفاته قائلاً : « إن الناس يعرفون موقفى ، وأنا لا أؤمن باللف والدوران » . ولم يتهمه أحد يوماً بالنفاق أو الغرور ، ولكن الكل يعتبرون كلماته خالية من المحبة واللطف والشفقة .

إن المسيحيين يحتاجون أن يقولوا الحق . ولكن بولس يقول : « صادقين فى المحبة ننمو فى كل شيء إلى ذاك الذى هو الرأس ــ المسيح » أف ٤ : ١٥ .

إننا نخطىء عندما نقول الحق بعدم مبالاة فنؤذى الآخرين . فلا يمكن أن يكون الروح القدس متكلماً فينا ، إذا كان قصدنا من الكلام أن نحقر الآخرين ونصغرهم . صحيح أن الحق أحياناً قد يكون مؤذياً للآخرين ، وقد لا نستطيع دائما أن نمنع ذلك ؛ ولكننا نستطيع أن نفحص دوافعنا للكلام .

قال لى أحدهم يوماً « إن تصرف الروح القدس لا يمكن أن يكون أقل من تصرف « الجنتلمان » الذى لا يمكن أن يتصرف بوقاحة أو بقسوة » . إن الله دائماً يكسو الحق بالإشفاق . وهذا يقودنا إلى تأكيد المبدأ التالى وهو

المبدأ الثامن : إن القادة الحقيقيين يقولون الحق فى المحبة .

وبالنسبة لبعض القادة ، قد لا يشكل الكذب أى تجربة . وبالنسبة لمعظمنا ، على أية حال ، قد يكون الأمر كله أسهل من أن نسيء استخدام الحق .إننا نحتاج أن نتبع مثال يسوع المسيح فى هذا المجال . لقد تكلم يسوع بالحق ، مع أن الشعبية كانت تتطلب كذبة . لقد تكلم بالحق ، حتى عندما كان يعنى ذلك أن تهجره الجماهير (يو ٦ : ٦٦) . ولقد تكلم بالحق لأنه كان هو الحق ، ولم يقدر أن ينكر نفسه .

وبالنسبة لكثيرين منا ، قد يكون النضال من أجل قول الحق هو بمثابة معركة العمر كله . وهذا يعنى فقط أن نكون دائماً حذرين وحريصين عليه . ولكن

قدامنا دائماً نموذج الطريق ، والحق ، والحياة . كما أننا نستطيع أن نذكر أنفسنا دائماً بأن القادة المخلصين يحبون الحق — كما يحبه الله .

الفصل التاسع
الغفران

فى ١٤ نوفمبر عام ١٩٤٠ أغارت الطائرات الألمانية على مدينة كوفنترى Coventry بإنجلترا . وكانت هذه أطول غارة جوية على بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية . وبعد انتهاء الغارة قام سكان المدينة بحصر نتائجها ، فاكتشفوا أن كاتدرائيتهم الجميلة قد دمرت تدميراً كاملاً حتى سويت بالأرض .

ولكن بعض المقيمين بالمدينة لم يسمحوا أن يظل هذا التدمير المأساوى لمكان عبادتهم مدعاة لتذكيرهم بالإنتقام . ففى اليوم التالى أخذ بعض الأعضاء من شعب هذه الكاتدرائية دعامتين خشبيتين متفحمتين من سقف الكاتدرائية ، وربطوهما معاً فى الطرف الشرقى من بقايا خرائب المبنى المنهار ، حيث كان مكان المذبح . وعملوا من الدعامتين شكل صليب وكتبوا كلمتين على لافتة ووضعوهما أسفل هذا الصليب : « يا أبتاه اغفر » .

إنى أحتفظ فى بيتى بصورة منقولة عن ذلك الصليب . أما النسخة الأصلية فلا تزال موجودة على مقربة من الكاتدرائية التى أعيد بناؤها . وإنى أرجو أن تبقى هناك طالما بقيت الحياة الإنسانية ، لكى تذكر العالم أنه فى قلب الخراب والدمار يمكن أن تظل كلمات يسوع تدوى بأعلى صوت : « ياأبتاه إغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (لو ٢٣ : ٣٤) .

يسوع الغافر :

تعلم التلاميذ الأولون الغفران عن طريق القدوة التى رأوها فى شخص يسوع نفسه . ففى أشد لحظات حياته ظلاماً كان يتضرع للآب طالبا الغفران

لجلاديه . وبعد نحو عام ، عمل استفانوس — أول شهيد مسيحى — نفس الشيء . فبينما كانت الأحجار الثقيلة تتهاوى عليه لتقضى على حياته ، كان هو يصلى بصوت عظيم قائلاً : « يارب لا تقم لهم هذه الخطية » . أع ٧ : ٦٠ .

إن الغفران لا يكتفى بالقول : « أنا لست أحتفظ بشيء ضدك » ، بل إنه يطلب أيضاً غفران الله للشخص المخطىء أو للناس المخطئين . إنه من الصعب علينا أحياناً أن نطلب الغفران ونحن نعنى ذلك جدياً . ولكن يسوع واستفانوس قد بيّنا أنه أمر ممكن .

ولقد علّم يسوع أيضاً الغفران عندما وضح لتلاميذه كيف يصلون (لو ١١ : ١ — ٤) . عندما يردد الناس الصلاة الربانية فى الكنائس أسبوعاً بعد الآخر قد لا يكونون واعين تماماً لما يقولون . ولكن لو أننا كلينا صلينا هذه الصلاة بصورة جدية ، ترى كم منا سيصليها بالفعل ؟ . فإننا عندما نصلى قائلين : « إغفر لنا ذنوبنا » ثم نقول : « كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا » ، يكون المعنى الواضح أننا نطلب من الله أن يغفر لنا بنفس الطريقة التى نغفر نحن بها للآخرين . فهل نحن نريد ذلك حقيقة ؟

لماذا وكيف نغفر

عبر السنين التى مرت بى عقب تجديد حياتى ، فكرت كثيراً فى موضوع الغفران . ووجدت أن الله يأمرنا بالغفران سواء فى العهد القديم أو العهد الجديد ، وقد اعتقدت منذ ذلك الوقت أن الله لا يمكن أن يأمرنا بعمل شيء ليس فى وسعنا أن نعمله .

ويوما ما فهمت معنى هذه العبارة : « كما نغفر » . إنها تتعلق بمفهومنا للغفران . ورأيت أننا نستطيع أن نغفر للآخرين فقط عندما نفهم معنى أن يغفر لنا . إنها مثل الوصية أن نحب أقرباءنا كما نحب أنفسنا . ويذكرنا علماء النفس أننا لا نستطيع أن نحب الآخرين ما لم نعرف كيف نكون نحن محبوبين .

وطبقاً لأقوال علماء السلوكيات ، لم يكن ممكناً لى ابداً أن أدرك المفهوم الحقيقى للحب ــ خصوصاً جوانب العطاء وبذل النفس من أجل من نحب ، ما لم أكن قد اختبرت من قبل محبة والدىّ أو محبة الآخرين لى . بعبارة أخرى ينبغى أن أختبر الحب أولاً قبل أن أتمكن من التعبير عنه تجاه الآخرين .

إذا كنا قد قبلنا المسيح كمخلص ، فإننا نكون قد اختبرنا الغفران ، ومن ثم نستطيع أن نغفر للآخرين . ولكى نعرف كيف نغفر ، نحن نحتاج أن ندرس النموذج الإلهى .

فى يو ٣ : ١٦ ــ ١٧ نستطيع أن نجد سبب الغفران الإلهى وكيفيته :

« لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية . لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم » .

ولقد خلق الله الخلائق لأنه أحبها ، وقد دبر خلاصها بيسوع المسيح . فمحبة الله هى سبب الغفران ، وابنه هو واسطة الغفران .

وفى يو ٨ : ١ ــ ١١ ترينا قصة المرأة التى أمسكت فى ذات الفعل ــ غفران الله عملياً . وقال لها يسوع : « إذهبى ولا تخطئى أيضاً » .

ولا شك أن هذه القصة يمكن أن تكون مشجعة ، ولكنها يمكن أيضاً أن تكون مثبطة . لنتأمل ثانية أمر يسوع للمرأة : « لا تخطئى أيضاً » ، والمعنى واضح تماماً وهو أنها « لا تخطىء أبداً » .

وأود أن أعتقد أن المرأة لن ترتكب خطية الزنا أبداً فيما بعد . ولكن ، ماذا عن الخطايا الأخرى ؟ هل احتدت ، أو أقدمت على عمل أنانى ، أو كذبت ، أو طعمت ؟ لابد أنها فعلت شيئاً من هذا القبيل .

فماذا فعل يسوع حينئذ ؟ ترى هل غفر لها ثانية ؟ •

ان الجزء الأول من الإجابة الواردة فى ١ يو ٢ : ١ يبدو وكأنه نفس كلمات يسوع : « ياأولادى أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا » . إن هذا القول يعبر عن إرادة الله لشعبه فى كل الأوقات : « لا تخطئوا » . ولكن بقية الآية فى ١ يو ٢ : ١ ترينا مفهوم النعمة : « وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار » . وهذا هو مبدأ الغفران ، إن الله يكره الخطية ، ومع ذلك ، فلأنه يعرف طبيعتنا الساقطة ، يفتح طريقاً قدامنا لنتصالح معه .

وهكذا ينبغى أن يفعل القائد المسيحى . إنه يعارض وجود الآثام والشرور بين تابعيه أو أولئك الذين ينقصون من قدره أو يحطون من شأنه ، ولكنه قادر على الغفران وعلى إصلاح العلاقات والحفاظ عليها .

الغفران والنسيان :

إن الغفران معناه محو الخطأ ، ولكن بحسب اختبارى ، أدركت أننى أكون قد غفرت حقاً عندما يتناقص احساسى بالألم بسبب الإساءة التى لحقت بى ، وعندما لا أشعر بثورة أو اضطراب بسبب ذلك الموقف ، وعندما أستطيع أن أتحدث عن الواقعة دون توتر فى المعدة أو حشرجة فى الصوت . وعندما يزول ذلك الألم ، تتضاءل ذكريات الإساءة وتتلاشى بالتدريج ، خصوصاً فيما يتعلق بما لحق بى شخصياً .

حدث يوماً ، على سبيل المثال ، أنى كنت أتحدث عن رجل كنت قد تعرفت به قبل ذلك بعشر سنوات . وكان الرجل قد أساء الىّ إساءة بالغة بشىء قاله أو عمله ؛ لا أذكر ماذا حدث . وقد حاولت أن أتذكر سبب المشكلة فلم أستطع . ثم تنبهت فجأة إلى أننى لا أحتاج إلى تذكر ذلك ، لأننى كنت قد غفرت له . وفى صمت وهدوء شكرت الله لعدم قدرتى على تذكر المشكلة . ولكنى سررت لتذكر الجانب المهم ، وهو أن المشكلة قد حلت وانتهت .

عندما يطلب من بعض الناس أن يغفروا يقول الواحد منهم : « إنى سأغفر لك ، ولكن لا يمكن أن أنسى » . وإنى لأتعجب مما يتصورون تحقيقه فى كونهم لا يريدون أن ينسوا . إن التذكر هنا معناه أنك تبقى على المشكلة مشتعلة فى الداخل ، بينما النسيان معناه إطفاء النار تماماً .

روت مرسلة فى ليبريا قصة عن الغفران ظلت فى ذهنى مدة طويلة . قالت إن رجلاً افريقياً كان يعمل فى خدمتها ، وحدث مرة أنها اكتشفت أنه سرق ملابس من بيتها . فتضرع إليها قائلاً : « من فضلك سامحينى . لقد أخطأت . وإنى أعد أننى لن أكرر هذا الخطأ أبداً » . وبالفعل ، صفحت عنه وسمحت له أن يستمر فى خدمتها . ولكن لم يكد يمر شهر على ذلك حتى أمسكت به وهو يسرق ثانية . فقالت له : « ها قد عدت إلى السرقة مرة ثانية ! » . ولكن ذلك الرجل حملق فى وجهها ثم صرخ قائلاً : «أى نوع من المسيحية أنت ؟ » .

وكادت السيدة تصعق من الدهشة ، ولم تعرف كيف تجاوبه عندما قال لها : « إذا كنت قد غفرت لى فعلاً ، فمعنى ذلك أنك لا تتذكرين . وإذا كنت لا تذكرى فمعنى ذلك أن الشيء الذى تشيرين إليه لم يحدث » .

وبغض النظر عن المنطق الجدلى الذى لجأ إليه ذلك الرجل لكى يبرر خطيته ، فإن القصة قد لمستنى من الأعماق . فلكم عرفت أناساً يقولون إنهم غفروا للآخرين ، ثم ينتظرون حتى يرتكب الشخص خطأ آخر وعندئذ يقول الواحد : « هذا هو بالضبط ما كنت أتوقعه » .

علامة للقيادة

هناك علامة حقيقية للقائد المسيحى وهى القدرة على الغفران . فعندما يتنكر الناس لنا ويسيئون إلينا ، خصوصاً إذا كانوا يتعمدون ذلك ، ليس هناك أفضل من أن نتذكر كلمات يسوع : « ولا أنا أدينك . إذهبى ولا تخطئى أيضاً » .

ولكن الغفران الحقيقى يتطلب معونة إلهية ، ذلك لأن معظمنا يفضل الانتقام ، أو على الأقل أن نثبت حقنا وأننا على صواب قبل أن نغفر .

ومن منا لم تجرح مشاعره من أعضاء الكنيسة ، أو من زملاء العمل ، أو الموظفين الذين تكلموا عنا بقسوة ، وأحياناً افتروا علينا بأشياء لا أساس لها من الصحة ؟ . ولكل منا على الأقل قريب واحد يثيرنا بالأحقاد والضغائن فى كل مرة نقابله ، ويمضى فى إغاظتنا وإثارتنا بكل وسيلة ممكنة . ترى كيف نتصرف فى مثل هذه المواقف ؟

نستطيع أن نحكى ما فعله المسيىء لنا ، ونستطيع أن نستمر فى تذكير أنفسنا بسقطاته وضعفاته ، ونواياه الشريرة ، ودناءته ووضاعته . وقد نصرخ طالبين تطبيق العدالة ، بينما نحن فى الحقيقة نريد أن نثبت أننا نحن على حق ، أو نريد أن نجعل ذلك المسيىء تعيساً وشقياً حتى يتوب » .

وقد نحاول أحياناً أن نثأر وننتقم . سمعت مرة عظة عن كيفية الثأر والانتقام من العدو ، وقال الراعى فى عظته شيئاً كهذا :

إن معظمنا يريد أن يثأر وينتقم ، ونحن نستطيع ذلك . وقد أخبرنا يسوع عن الكيفية عندما قال : « سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم » مت ٥ : ٤٣ ، ٤٤ .

أتريد أن تثأر ؟ صل لأجل كل بغيض ذميم ، ولأجل كل طائش لا يراعى حقوق الآخرين ومشاعرهم ، ولأجل كل متبلد المشاعر ، ولأجل قساة القلوب ، ولأجل كل وقح وخسيس وخبيث .

وأنهى الواعظ عظته بحث المستمعين قائلاً لهم : « دعونا نهتم بصلواتنا . إنها ليست فقط قادرة على تغيير الناس الآخرين ، بل إنها أحياناً تستدير نحونا فتغيرنا نحن ! وهذا هو الانتقام حقاً ! »

ولو كان هناك شخص يملك سبباً يبرر به الإنتقام من أعدائه لكان هو يسوع . ولكن عندما جاءوا به إلى رئيس الكهنة ، لم يحاول يسوع أن يشرح موقفه أو أن يثبت براءته ، بل اكتفى بالقول : « أنا كلمت العالم علانية . أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً . وفى الخفاء لم أتكلم بشيء » يو ١٨ : ٢٠ .

وعندما وقف يسوع أمام بيلاطس فيما بعد ، كانت قدامه فرصة ثانية للدفاع عن نفسه ، ولكنه لم يحاول أبداً أن يبين كذب وافتراء وتزييف الإتهامات التى وجهها إليه المدّعون ، ولا أن يفضح أعمالهم الخاطئة والشريرة . وطوال مواجهته مع بيلاطس لم يقل شيئاً يدافع به عن نفسه (يو ١٨ : ٢٨ ــ ٣٨) . ولم يكن فى مثل هذا التصرف هو الأمثل بالنسبة لشخص أسيء إليه ، ولكن هذا هو أسلوب يسوع ــ الغافر .

خطوات للمصالحة :

إن القادة المؤثرين هم القادة الغافرون . فنحن لا نستطيع أن نعمل مع أناس نضمر لهم الأحقاد والضغائن والكراهية . ويمكن أن نذكر هنا ثلاثة أشياء يمكن أن نعملها لكى نمهد الطريق نحو مصالحة الآخرين :

١ ــ **إفحص نفسك** : ينبغى علينا أحياناً أن نسأل أنفسنا عن سبب احتفاظنا بالضغائن والأحقاد ، وعن سبب غضبنا وإحساسنا بالإساءة فى نهاية أى حديث أو عمل أو لقاء . قال لى أحد أصدقائى الأتقياء : « لا أحد يستطيع أن يسيء إلى مشاعرك إلا أنت نفسك . إن كل ما يستطيعه الناس الآخرون أنهم يلمسون جانباً حساساً من حياتك لم تسلمه بعد للرب يسوع المسيح » .

وقد يلمس الآخرون إحساسنا بالنقص ، أو خوفنا لئلا تكشف حماقتنا ، أو شعورنا بعدم كفاءتنا فى وظائفنا ، مع أن مثل هؤلاء الناس ربما يؤدون لنا خدمة جليلة لأنهم يشيرون لنا عن جوانب فى حياتنا نحتاج إلى إدراكها

وعلاجها .

٢ ـــ **صل لأجل أعدائك** : لماذا لا تسجل أسماء خصومك وناقديك والحاقدين عليك وتضعهم قدام الرب فى الصلاة كل يوم ؟ لا تصل قائلاً : « يارب ، من فضلك بكت فلانا واجعله يفيق إلى أخطائه ويعود إلى صوابه » . بدلاً من ذلك قل : « ياأبى السماوى ، ساعدنى لكى أفهم فلاناً واجعلنى مترفقاً به وعطوفاً عليه » .

٣ ـــ **توقع الشفاء والتئام الجروح** : إننا نحتاج أن نعمل لأجل المصالحة ، ونستطيع أن نتوقع حدوثها . كما نستطيع أن نعالج كل إساءة بقلب متفتح قائلين : « يارب ، أنا أعرف أنى سأغفر وسأنسى ما فعله فلان » . إن هذا يمكن أن يحدث إذا كنا نحن نسمح بذلك .

وهذا هو المبدأ التاسع :

إن القادة يستطيعون أن يغفروا لأنهم قد سبق أن نالوا الغفران .

الجزء الثالث

تجارب القيادة

الفصل العاشر

القوة

طبقاً لقواعد وبرامج بعض القيادات ، يكون كل ما فعله يسوع خطأ . وكانت غلطته هي استقامته وأمانته الدائمة ؛ فهو لم يخدع أحداً ولم يراوغ أحداً . وكانت نواياه واضحة تماماً لا يمكن أن يخطئها أى إنسان .

ولم يحاول القادة الدينيون فى عصره أبداً أن يفتحوا أذهانهم ليفهموا أو يدركوا . ولكن يسوع ، على أية حال فرض تهديداً لهم ولسلطانهم . ولقد وقفوا ضده من البداية لأنهم عرفوا أنه كان يهدد الأساس الذى بنوا عليه قوتهم .

عندما يفكر كثيرون من الناس فى القيادة ، فإن أول ما يخطر فى بالهم هو القوة . ونحن نحتاج إلى التأمل فى مسألة القوة ، لأنها تنطبق أيضاً على القيادة فى الكنيسة ، والعمل ، والمدارس ، والبيوت — وفى أى مكان يلتقى فيه اثنان أو ثلاثة من الناس . ونحن نحتاج أن نرى كيف اختلف يسوع عن القادة الآخرين فى مفهومه واستخدامه للقوة .

نوعان من القوة :

عندما أتحدث عن القوة فإننى أفكر فى القدرة على التأثير وتوجيه الآخرين . فمن وجهة نظر إنسانية ، هناك نوعان من القوة :

قوة المركز أو الوظيفة : وهى قوة تأثير القادة التى تستند إلى مراكزهم فى الكنيسة أو العمل أو العائلة . فبينما قد لا يتطوع أعضاء الكنيسة للقيام بعمل

عندما يطلب أحدهم منهم ذلك ، إلا أنهم — على سبيل المثال — يكونون أكثر استعداداً للتجاوب والقيام بالعمل المطلوب لو أن الراعى طلب منهم ذلك .

القوة الشخصية : وهى تتأتى من المواهب الروحية أو الشخصية أو مقدرة القائد . فمثلاً ، استطاع سير ونستون تشرشل رئيس وزراء انجلترا خلال الحرب العالمية الثانية أن يمارس قوة شخصية عظيمة فى مقدرته على تحريك ودفع مواطنى انجلترا . ففى مايو ١٩٤٠ ، وخلال أحلك الساعات التى مرت ببريطانيا ، ألقى تشرشل أول خطاب له كرئيس للوزراء فى مجلس العموم ؛ وأنهى خطابه بهذه العبارة « ليس هناك ما يمكن أن أقدمه لكم سوى الدم ، والعرق ، والمعاناة ، والدموع » . وإذا بالأمة التى كانت تبدو وكأنها مهزومة ، ترتفع روحها المعنوية وتتجمع كلها خلفه تؤازره وتؤيده .

واستطاع الرئيس فرنكلين روزفلت أن يعبر ببلاده الأزمة الاقتصادية الضخمة ، وأن يقودها خلال الحرب العالمية الثانية . ومما يذكر عنه بصفة خاصة صيحته المشهورة التى أصبحت بمثابة نداء التجمع خلال الأوقات العصيبة : « ليس لدينا شىء نخاف منه سوى الخوف نفسه » . وقد استطاع روزفلت بقوة شخصيته أن يجعل شعبه يثق فى المستقبل .

وبالطبع هناك خطورة فى القوة الشخصية ، إذ أنها قد تدفع صاحبها للتلاعب والمناورة ، وهكذا يتحول القادة إلى طغاة .

وكان ذلك جزءاً من التجربة التى واجهت يسوع فى البرية (مت ٤ : ١ — ١١) . فقد أخذه الشيطان إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها . وكانت هذه بمثابة مناورة من الشيطان ليغرى يسوع بالتعطش إلى القوة . وحتى تجربة تحويل الحجارة إلى خبز تضمنت أيضاً مناورة إغراء يسوع تسخير قوى الطبيعة لتحقيق مكسب شخصى . كما أن القفز من جناح الهيكل كان أيضاً بكل تأكيد محاولة لدفع الله الآب أن ينقذ ابنه .

ممارسات القوة :

إن معظم ممارسات القوة فى الكنيسة اليوم تتم بالكلام . ولكن لم يكن الأمر كذلك دائماً . فقد مرت أوقات كانت القوة تتضمن القصاص مثل العزل والحرمان (ولا يزال ذلك معمولاً به بين طوائف معينة) ، كما كانت تتضمن التعذيب الجسدى ، حتى الموت .

ويحتفظ القادة اليوم بالقوة عادةً عن طريق الوسائل الآتية :

+ التحريض والتلاعب والمناورة .
+ إيجاد الإحساس بالذنب ، أو الخجل ، أو الجهل .
+ التهديد .
+ الدعابة اللاذعة والاستخفاف .
+ الاحتكام .

والآن دعنا نفحص هذه الوسائل واحدة واحدة .

التحريض والتلاعب والمناورة :

ليس هناك مثال على هذا الأسلوب المشين بقيادة القوة فى مجتمعنا الحديث أسوأ من مثال Jim Jones فى مدينة Guyana , Jamestown ،إذ أنه سيطر على « المتجددين » بشخصيته الكاريزماتية وأقنعهم أنه سيستطيع أن يجعل حياتهم أفضل . ولكن بمجرد أن انضم الناس إلى كنيسته وقعوا تحت تأثير ألاعيبه ومناوراته الشيطانية . ومثل هذا الحث أو التحريض يرتدى ثوب الشرعية ، ويستخدم المنطق والحقائق والعقل ، وقد يلجأ لبعض الإشارات الرقيقة مبيناً أن الموضوع يفتقر إلى التعاون ؛ وقد يستخدم عبارات كهذه : « أنت بلا شك لا تريد أن يظن الناس أنك غير متعاون ، أو أنك لا تعطى الأفضل لله . أليس كذلك ؟ » ؛ أو عبارة : « كنت أعلم أنك ستفهم الأمر لو أننا تحدثنا عنه . فالناس يعرفون أنك شخص عاقل ، وقد ظللت أخبرهم

أنك لست من صناع المشاكل » . وقد أدت مثل هذه المناورات والألاعيب فى النهاية إلى مقتل Jones نفسه ومعظم تابعيه .

إن هذا الانحراف والتضليل فى الحث والتحريض يمنع الأفراد من التفكير والتصرف الشخصى . وهذا ما نراه فى يو ٧ : ٤٥ ــ ٥٢ عندما حاول نيقوديموس أن يقف إلى جوار يسوع فقال للفريسيين : « ألعل ناموسنا يدين إنساناً لم يسمع منه أولاً ويعرف ماذا فعل » . فإذا بالفريسيين يسكتوه عن الكلام بأن يسألوه قائلين : « ألعلك أنت أيضاً من الجليل . فتش وأنظر . إنه لم يقم نبى من الجليل » . (يو ٧ : ٥٢) . ولم يجد نيقوديموس المسكين أمام هذا الهجوم فرصة للكلام . ومثل هذا الهجوم يعتبر أوضح مثال للقادة الذين يجيدون التلاعب والمناورات .

الذنب والخجل والجهل :

إننى مقتنع تماماً أن هذا الشكل من القوة منتشر جداً فى الكنائس أكثر من أى شكل آخر . فنحن القادة ــ باستخدام مراكزنا ــ لنا المقدرة أن نغرس الإحساس بالذنب والخجل والجهل فى أناس كثيرين . ونحن نفعل ذلك بحذق ومكر .

فعلى سبيل المثال ، إذا حدث أن فتاة فى اجتماع مدارس الأحد للكبار تغيبت ثلاثة أسابيع متصلة ، والتقت معها مدرستها فى الشارع فقالت لها : « أين كنت ؟ لقد شعرنا بغيابك الآحاد الثلاثة الماضية » . فمن ناحية يعنى هذا السؤال اهتماماً بالغاً من المدرسة بالفتاة . ولكن من ناحية أخرى يتضمن هذا السؤال استفساراً يتطلب الإيضاح . فعندما تسأل المدرسة الفتاة قائلة لها : « أين كنت ؟ » فإن هذه الفتاة مطالبة أن تقدم عذراً كما لو كانت تلميذة صغيرة تغيبت يوماً عن المدرسة . وسواء أكانت تعى ذلك أم لا ، فإن هذا السؤال سيقودها إلى الإحساس بالذنب .

ويحاول القادة أحياناً أن يصوروا الذين يعارضونهم بصورة الجهلاء ؛ فيقول القائد مثلاً : « لو أنك عرفت كل الحقائق لرأيت الأمور بطريقة مختلفة » . وتعنى هذه العبارة الجهل كما تعنى أيضاً عدم التفكير الصائب ــ الأمر الذى يجعل التابع يكف عن المناقشة ويتوقف عن التساؤل .

وإذا فشل أحد العاملين بطريقة أو بأخرى ، فى أمر صغير أو كبير ، فإن القائد الذى يمارس التلاعب بالقوة يقول له : « لا شك إنك لا تريد أن تفشل ثانية ، أليس كذلك » . وبعض القادة يشيرون إلى هذه النقطة ببراعة ودهاء ، ولكن كلماتهم لا تزال تؤكد للتابع أخطاءه الماضية ، بل وتثير فيه الإحساس بالخجل ، وربما الإحساس بالذنب .

التهديد :

فى العالم التجارى ، تجبر التهديدات المالية التى يمارسها القادة ــ تجبر الناس على الخضوع أو ترك العمل . ويستغل أصحاب العمل خوف العمال من الفصل ، أو الحرمان من العلاوات ، أو ضعف التقدير السنوى ــ لإخضاع الموظفين .

وأحيانا لا ينوى القائد تنفيذ التهديد الذى يلوح به ، ولكن هناك تهديدات يقصد بها مجرد التخويف والسخرية مثل :

+ « إذا أردت أن تبدو غبياً ، يمكنك أن تتقدم بهذه الفكرة » .
+ « مع أنى لست شخصياً ضد فكرتك ، ولكن أنت تعلم أن بقية أعضاء اللجنة سيرفضونها بشدة ، ألا تعلم ذلك ؟ » .
+ « سأذهب معك إلى اللجنة ، ولكن إذا سخروا منا فلا تقلق باللوم علىّ » .
+ « إن عدداً كبيراً من الناس يفكرون فى ترشيحك لتكون شيخاً ، ولكن إذا بدأوا يفكرون فيك كصانع مشاكل ، لا شك أنهم سيعيدون النظر

فى هذا الترشيح » .

إن استخدام التهديدات استخداماً سيئاً من جانب قيادة القوة ليس أمراً جديداً . ففي يوحنا ٩ بعد أن شفى يسوع الرجل الأعمى نقرأ أن الفريسيين ضغطوا على أبوى الرجل لكى يساعداهم فى حملتهم ضد المسيح : « ... دعوا أبوىّ الذى أبصر . فسألوهما قائلين أهذا ابنكما الذى تقولان إنه ولد أعمى . فكيف يبصر الآن . أجابهم أبواه وقالا نعلم أن هذا ابننا وأنه ولد أعمى . وأما كيف أبصر الآن فلا نعلم . أو من فتح عينيه فلا نعلم . هو كامل السن . إسألوه فهو يتكلم عن نفسه . قال أبواه هذا لأنهما كانا يخافان من اليهود . لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يخرج من المجمع » . (يو ٩ : ١٨ — ٢٢) .

الدعابة اللاذعة والاستخفاف :

وهذا هو أقسى نوع من أنواع إظهار قيادة القوة ، لأن القائد الذى يستخدمها يحتقر كل اقتراحات ضحيته حتى يجعلها تبدو بلا أى قيمة . وقد يحتفظ هذا القائد عادة بابتسامة مثبتة على وجهه ، ويظل صوته هادئاً ومتودداً ؛ وإذا اعترضه أحدهم أو تحداه فإنه يستطيع دائماً أن يقول شيئاً كهذا :

+ « ألا تستطيع أن تتحمل قليلاً من المداعبة ؟ لماذا تنفعل وتغضب هكذا ؟ »

+ « يجب أن تمزح أحياناً » .

+ « ها ها ! إنك تملك حقاً روح الفكاهة والدعابة . ولكننى متأكد أنك لا تعنى ذلك ، فدعنا نتقدم إلى شيء آخر » .

أعرف صديقاً أدرك هذه المعانى لإظهار القوة ، عندما عمل فى فترة عيد الميلاد فى أحد بيوت الطلبة الدولية . كان صديقى هذا يبتسم كثيراً ، ويبدو أنه كان موفقاً فى خدمته بين الطلبة . ولكن فى أحد الأيام قال له شابان قادمان

من منطقة الشرق الأوسط : « أنت تبتسم معظم الوقت ، وهذا معناه أنك سعيد ومتعاون ، أليس كذلك ؟ وأنت تقول مثلاً إننا لسنا مضطرين أن نذهب إلى بعض الرحلات التى نظمتها . وتظل مبتسماً . ولكن إذا لم نذهب فأنت أيضاً تقول كلمات نفهم منها أننا قد أغضبناك . وحتى عندما تقول لنا بعض العبارات الساخرة وشديدة اللهجة فأنت تظل طوال الوقت مبتسماً : من فضلك سامحنا ، ولكننا بصراحة لا نستطيع أن نفهمك » .

وقد أدرك صديقى عندئذ غلطته . فبدون وعى منه كان يريد من كل واحد أن يعمل كل شىء ، مع أنه كان يقول لهم خلاف ذلك . إن كلماته الساخرة واللاذعة والتى كان يقولها بابتسامة ، أوقعت الطلبة فى ارتباك واضطراب . وقال صديقى فيما بعد : « كان ذلك درساً قيماً لى ، فإنى لم أكن أدرك أبداً كيف كنت أستخدم هذا الأسلوب كوسيلة لتعاملى مع الناس » .

الاحتكام :

أحياناً يبدو القادة وكأنهم ببساطة يتوسلون . وقد لا تبدو توسلاتهم كأنها طلبات ، ولكنها مع ذلك تناشد الولاء والإشفاق أو مراعاة الرتب الكهنوتية . وقد تسمع عبارات كهذه :

+ « أنت تعلم أننى راعيك . وآمل أنك لا تظن أننى أتعمد الخطأ » .
+ « أنت فاهم أن المجلس ينصح فقط ، ولكن فى الواقع أنا الذى أتخذ القرار النهائى » .
+ « أنت تعلم أنك عندما التحقت بعضوية الكنيسة ، أو صرت معلماً فى مدرسة الأحد ، أو انتخبت لخدمة شماس — أنت وعدت أن تكون خاضعاً للسلطة الكنسية وللنظام الكنسى . فباعتبارى صديقك وقائدك ، فإننى أطلب منك .... »
+ « إننى هنا أحاول أن أبذل كل ما فى وسعى . وكنت أعول كثيراً على

معاونتك لى ، فأنت واحد من أصحاب الذهن الروحى . وأنا أقدر رأيك تقديراً كبيراً » .

ولعل تلك العبارات تتكلم عن نفسها .

موقف يسوع تجاه القوة :

ربما كان أفضل مكان نرى فيه كيف استخدم يسوع القوة هو يو ١٣ . فإن هذا الأصحاح يروى لنا أن يسوع بعد أن أكل مع تلاميذه ، وقبل الصلب ، غسل أرجلهم . وفى تلك الأيام كان يغسل أرجل الضيوف هو أحقر خادم فى البيت ، أو الخادم الذى يريد السيد أن يخزيه أو يخجله .

« فلما كان قد غسل أرجلهم وأخذ ثيابه واتكأ أيضاً قال لهم : أتفهمون ما قد صنعت بكم . أنتم تدعوننى معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأنى أنا كذلك . فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض . لأنى أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً . الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله . إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه » (يو ١٣ : ١٢ – ١٧) وهذا هو مصدر القوة الحقيقية والصحيحة : الخدمة والاتضاع للآخرين . وفى هذا المعنى يقول الرسول بولس إن كل الوصايا هى « مجموعة فى هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك » (رو ١٣ : ٩)

إن كثيرين من القادة يفرضون قوتهم ، بينما يتطلع القادة الطموحون للقوة ، وعندما يحصلون عليها يريدون المزيد .

ولقد علم يسوع عكس ذلك ، فبالنسبة له كان مفهوم الرفعة هو الاتضاع ، وطريق السيادة هو طريق الخدمة ، والطريق إلى العظمة يمر بإخلاء النفس وإنكار الذات ، والطريق إلى المجد يتطلب أن تحمل الصليب يومياً وأن تتبعه (لو ٩ : ٢٣) .

القوة والخوف والمحبة :

فى القرن السادس عشر أصدر السياسى والفيلسوف الإيطالى نيكولومكيافيلى Niccola Machiavelli رسالة عنوانها : « الأمير » ناقش فيها الملكية المطلقة ، وسأل فيها أيضاً سؤالاً حيوياً ـــ ما إذا كان من الأفضل أن تكون هناك علاقة مؤسسة على المحبة (كما هو الحال فى القوة الشخصية) ، أم أن تكون العلاقة مؤسسة على الخوف (كما هو الحال فى قوة المركز أو المنصب) . وقال إنه من الأفضل أن يكون هناك الاثنان معاً ، ولكن إذا لم يتيسر ذلك ، فإن القوة ينبغى أن تكون مستندة إلى الخوف ، فالمرجح أنها ستستمر أكثر ، ذلك لأن من يجرؤ على إنهاء مثل هذه العلاقة سيدفع الثمن غالياً . وقال مكيافيلى إن القوة المؤسسة على المحبة عمرها قصير ، ومن السهل إنهاؤها طالما أن التابع لا يشعر بخوف من الثأر أو الانتقام .

وبهذا وضع مكيافيلى صياغة المبدأ الذى يسترشد به كثيرون من القادة . ومع ذلك فإن يسوع لم يلجأ أبدا إلى استخدام الخوف . بل إنه نبّر فى تعليمه على الأهمية القصوى لهيمنة المحبة . وفى الليلة التى خانه فيها أحد تلاميذه ، وبينما كان لا يزال فى العلية ، قال لتلاميذه : « وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً . بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعضاً لبعض » . (يو ١٣ : ٣٤ ، ٣٥).

وفى رسالة يوحنا الأولى يكتب الرسول عن الخوف والمحبة كليهما : « .... الله محبة ، ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه . بهذا تكملت المحبة فينا أن يكون لنا ثقة فى يوم الدين لأنه كما هو فى هذا العالم هكذا نحن أيضاً . لا خوف فى المحبة بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج ، لأن الخوف له عذاب ... » ١ يو ٤ : ١٦ ـــ ١٨ .

وقد اشتق يسوع قوته من الله ، ومارس هذه القوة خلال المحبة ، وبسط

قوته ومدها لشعبه ، مع أفضل ضمان ضد سوء استخدامها ، وهو الوصية أن يحب كل واحد الآخر . فإننى إذا كنت ــ كقائد ــ أحب الناس ، لن أحاول أبداً أن أتلاعب بهم أو أستغلهم . بل إننى سأضع احتياجاتهم دائماً قدامى ، وسأبذل كل ما فى وسعى لأجلهم .

يمكن أن نعتبر أن هناك رمزين من بين رموز المسيحية ، وهما المنشفة والصليب . فالمنشفة ترمز إلى الخدمة ، والصليب يرمز إلى الطاعة . وكلاهما من علامات القيادة المسيحية لأنهما من سمات أسلوب يسوع فى القيادة .

ولقد كان فى إمكان يسوع مرات كثيرة أن يستخدم الناس لتحقيق أغراضه ، ولكنه بدلاً من ذلك قادهم إلى مواجهة أنفسهم ، كما فعل مع المرأة عند البئر ، ومع المرأة التى أمسكت فى زنى ، ومع نيقوديموس . وبمجرد أن نظروا إلى أنفسهم ، كشف لهم عن محبته وعن قوته الفدائية . وهذه هى الكيفية التى تعمل بها القيادة المستقيمة والصحيحة والنزيهة ــ أن تستخدم القوة لمواجهة احتياجات الناس الآخرين ، وليس احتياجاتنا نحن الشخصية .

وهكذا يتضح لنا :

المبدأ العاشر للقيادة وهو إن القوة التى يتمتع بها القادة هى لإطاعة الله ولخدمة الآخرين .

الفصل الحادى عشر

الذات

دعى متكلم مشهور ، ظهر فى برامج تليفزيونية كثيرة ، ليتكلم فى الحفل السنوى الكبير لإحدى المنظمات . وكان منظم الحفل قد دعى ذلك المتكلم بالتليفون وأكد دعوته بالبريد وذكر له نيابة عن المنظمة أنهم يتطلعون إلى لقائه وإلى الاستماع إليه وقال له فى رسالته : « إنك ستذهل عندما ترى أعضاءنا يقتبسون أقوالك كثيراً جداً ، وقد ظلوا يرشحون اسمك كثيراً للتحدث إليهم فى ذلك الحفل » .

وعندما جاء موعد يوم اللقاء الكبير ، وصل المتكلم المشهور مبكراً بضعة دقائق عن الميعاد . ودخل إلى القاعة ، وسجل اسمه، وتسلم شعار الحفل ، ولكن لم يلتفت أى واحد له التفاتاً خاصاً .

وقبل أن يحين موعد إلقاء خطابه بأقل من خمس دقائق ، وجد قائد الاجتماع إعلاناً من ميكرفون القاعة يتساءل فيه : « هل وصل (فلان) ؟ — يقصد شخص ذلك المتكلم » .

وقد اعترف لى ذلك المتكلم فيما بعد أن مشاعره جرحت لأنه لم يتعرف عليه أحد من الحاضرين عند وصوله . وقال لى : « أردت أن أخرج من المكان . لقد عظمونى جداً قبل أن أجىء ، وخذلونى وأذلونى جداً عندما وصلت » . كما أنه وجد صعوبة كبيرة فى إخفاء غضبه وخيبة أمله عندما تحدث إلى الجمع الذى كان حاضراً ذلك الحفل .

لم يغضب يسوع أبداً عندما لم يتعرف الناس عليه . بل إنه كان عادة يتجنب الظهور والإعلان عن نفسه . وحدث مرة أن فيلبس حث نثنائيل أن يأتى ويقابل يسوع (يو ١ : ٤٦ ـــ ٥١) . وعندما علم نثنائيل من أين جاء يسوع قال : « أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح » (عدد ٤٦) .

ولم يوبخ يسوع نثنائيل أبداً على تلك العبارة . وعندما بدأ اسم يسوع ينتشر ويشتهر فى الأرض ، لم يبد يسوع أى إحساس بالضيق تجاه من لم يتعرف عليه . وتحدث مع نثنائيل ، وعندما انتهى الحديث قال نثنائيل ليسوع : « يامعلم أنت ابن الله . أنت ملك إسرائيل » (عدد ٤٩)

ونستطيع أن نستنتج من حياة يسوع العادية أنه لم يقل بدون تفكير : « أنا المسيا » . بل إنه من المحتمل أنه لم يشر ولو بإشارة بسيطة عن من هو . إن يسوع ، القائد ، ركز على التعليم ، والوعظ ، وإظهار الغرض من مجيئه . وسمح لجمهور مستمعيه أن يكتشفوا بأنفسهم ولأنفسهم حقيقة شخصيته .

وأينما كان يسوع يسافر ، لم يكن يتوقع أن يرى أعلام الترحيب به ، أو اللجان التى تقوم باستقابله ، أو حفاوة خاصة لتكريمه . إن ذاته لم تكن تبحث عن تحقيقها ـــ الأمر الذى كان يمكن أن يتحقق لو أن الآخرين عبدوه ، أو منحوه ألقاب التكريم والاحترام . بل إنه قال : « مجداً من الناس لست أقبل » (٥ : ٤١) . لقد جاء بإرسالية وبرسالة ـــ وهى أن يقود الناس إلى الآب ، لا لكى يغتصب مركز أو مكانة آخر .

وعندما قدم التلاميذ له طعاماً لما جلس عند البئر ، قال يسوع : « طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله » (٤ : ٣٤) . ولا تشير الملاحظة الخفية وراء هذه العبارة إلى أنه لم يكن جائعاً ، بل المعنى هنا أن كل إحتياجاته الشخصية كانت تخضع للإرسالية التى كان الآب قد أعطاها له . أى أن يسوع

هنا كان يمارس القيادة على التلاميذ لكى يوجه أنظارهم نحو إتمام عمل الآب أيضاً .

وعندما نتأمل القيادة اليوم ، قلما نرى أسلوب يسوع الذى يتجرد من الذات . لقد جاء يسوع بإرسالية الخادم ، ليعمل إرادة الآب — لا بحثاً عن الشهرة .

إن القيادة تتطلب أن يتعرف الرجال والسيدات على ما ينبغى أن يعملوه ، ثم أن يتجهوا بالفعل إلى عمله . وقد يبدو هذا تبسيطاً للأمر ، إلا أن كثيرين ممن يمكن الاعتراف بهم كقادة ، بدلاً من أن يكرسوا أنفسهم لأعمالهم ، يكتفون بمجرد الأحلام بما كان يمكنهم عمله أو بما سوف يعملونه يوماً ما ؛ أو لعلهم دائماً يتوقعون من الجميع الاعتراف بفضلهم إزاء أى إنجاز يتمونه .

وحتى عندما يتفرغ الأفراد لتأدية أعمالهم ، تراهم يتوقعون التقدير . وإذا أدى بعض القادة خدمات متميزة لهيئاتهم ، فإنهم يتوقعون الأوسمة والميداليات . وإذا حدث أنهم أغفلوا لسبب أو لآخر فإنهم إما أن يعبروا عن استيائهم فى جلساتهم الخاصة أو أنهم يتحدثون بغضب عن حقوقهم علانية . إنهم بذلك ينسون نموذج يسوع المسيح .

الحصول على الشرف أو الفضل :

كانت سيدة مسيحية فى دار للنشر تعمل فى وظيفة مساعد محرر . وكان عملها هو أن تقرأ المخطوطات والمسودات بعد أن ينتهى المحرر من كتابتها ، لمجرد مراجعة أخطاء قواعد اللغة أو الترقيم (النقط والفواصل .... الخ) . وأدركت رئيستها أن تلك السيدة كانت أكثر كفاءة وصلاحية منها ، فسمحت لها بمزيد من عمل المحرر الأصلى والفعلى . وكانت النتيجة أن السيدة المساعدة كانت تقوم بمعظم العمل بينما كان الفضل ينسب لرئيستها .

وحدثت يوماً ما مجادلة مع الناشر ، وهددت المحررة بالاستقالة إذا لم يحقق

لها طلباً معيناً كانت قد تقدمت به . فأجاب الناشر « يمكنك ترك العمل ، فإن السيدة المساعدة على أية حال تقوم بمعظم العمل » . فصاحت المحررة قائلة : « هل أخبرتك هي بذلك ؟ » . فقال الناشر : « لا ، إنها لم تكن محتاجة أن تقول ذلك . لقد ظللت عدة شهور أراقب ذلك وأشعر به ، وأتساءل حتى تعترفين بفضلها وتعطيها التقدير اللائق » .

وكان ختام هذه القصة الواقعية الصغيرة أن مساعدة المحررة أصبحت هي أخيراً تشغل وظيفة المحررة . لقد كانت تؤدى عملها على أحسن وجه دون أن تتوقع اى اعتراف بفضلها . وعندما سألها الناشر — ولم يكن مسيحياً — لماذا كانت تقوم بكل هذا الجهد دون أن تذكر شيئاً عن نفسها أو عملها ، اقتبست فى ردها كو ٣ : ٢٣ — ٢٤ « وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس . عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث . لأنكم تخدمون الرب المسيح » .

وفى لقاء هذه السيدة مع جماعة درس الكتاب فى اجتماعها الأسبوعى قالت : « لقد قررت منذ زمن طويل ألا أبحث عن المجد لنفسى . إننى طموحة ، ولست أظن أننى بذلك أفعل أى شيء يغضب الله ، ولكن وعدت الله أننى لن أحاول أن أتقدم عن طريق التشهير بشخص آخر أو الإساءة إلى سمعته . وعندما أدركت ما كانت تفعله رئيستى ، قلت للرب إننى سأعمل أحسن عمل بقدر إدراكى ، وإننى سأترك له مهمة تقديرى ومكافأتى » .

ومرت سنتان ، وبعد ذلك قال الناشر لتلك السيدة : « لا أعرف كثيراً عن ديانتك ، ولكنى أعرف شيئاً واحداً ، وهو أنه إذا كان فى العالم كله شخص واحد مسيحى ، فإنك أنت هذا الشخص » .

وهذه هى القيادة — القيادة الحقيقية . إنها تحرص على الأداء الجيد للعمل ، ولا تعبأ كثيراً بأن ينسب لها الفضل .

الاعتراف بالفضل : طريق له اتجاهان :

إن القادة الأكفاء والمقتدرين يريدون أن يعترفوا بفضل أولئك الذين يعاونونهم ، وذلك لأن لديهم إحساس بالاكتفاء وإدراك لقدر نفوسهم . وهم لا يقبلون ثناء أو تقديراً يشعرون أن غيرهم أحق به منهم . بل إنهم عندما يتقبلون اعترافاً بفضلهم أو تقديراً لإنجازاتهم ترى هؤلاء القادة حريصين على القول : « ولكنني لم يكن ممكناً لي أن أفعل ذلك لولا مساعدة (فلان) » . وهم يعنون ذلك فعلاً .

إن القادة الحقيقيين يرى كل منهم نفسه باعتباره جزءاً من فريق . إنهم لا يتطلعون إلى مكافآت ذاتية شخصية لأنفسهم ، ومع ذلك فإنهم إذا جاءتهم المكافآت يودون أن يشترك الآخرون معهم فيها ، وأن تسلط الأضواء على الآخرين أيضاً .

ولا بأس من أن يتقبل القادة قليلاً من الأضواء . فإن القادة المخلصين لا يتخفون من الاعتراف بفضلهم . وهم لا يظهرون الارتباك بالغمغمة أو التذمر قائلين : « من ، أنا ؟ لماذا ، أنا لم أفعل شيئا متميزا » . إن مثل هذه الكلمات يقولها غالباً الناس الذين يدعون التواضع ويتظاهرون به . وإني أكاد أشك في أن مثل هؤلاء الناس يريدون مزيداً من المديح لأجل أعمالهم ، وتأكيدات أعظم على تقدير قيمتهم وقدرهم .

كان أحد القادة حكيماً عندما قال مرة : « عندما أقوم بعمل طيب ، فإنني أعرف ذلك . وبالطبع ، سأشعر بالارتياح عندما أقابل بالتقدير والاعتراف بالفضل . ولكنني أبذل ما في وسعي لأني أشعر أن هذا هو واجبي . فقد سلمت نفسي وعملي للرب » .

ومهما كان نوع القيادة التي نمارسها ــ قيادة جماعة متعبدة ، أو قيادة عائلة ، أو توجيه جهود مبيعات ، أو ممارسة قانون ــ فإننا كمسيحيين ، في

كل هذه المجالات ، نخدم يسوع المسيح . وقد قال يسوع إننا إذا كنا نتقبل مديح الناس ونحرص على ثنائهم ، فإننا لن ننال مجداً من الله ؛ وإننا إذا كنا نعمل أو نتصرف فقط حرصاً على مديح الآخرين لنا ، فإننا فى هذه الحالة لا نكون عاملين بالدوافع الصحيحة . إننا ينبغى أن نتطلع إلى رضى الله عن أعمالنا ، وإلى استحسانه لما نفعل .

وماذا يحدث عندما لا يرى الناس عملك ؟ وماذا يحدث إذا رأى الناس عملك ولكنهم لم يقدروه ؟ هل تستمر فى العمل ؟ كان يسوع يستطيع أن يجيب على هذا السؤال بكلمة « نعم » . لكن ليس كلنا يستطيع ذلك ، لأننا نهتم كثيراً بمديح الناس لنا .

القائد الآمن :

عندما يقوم القائد المسيحى البارز بدوره فى عمل ما ، فإن هذا يعنى ضمناً وفى صمت أنه يعد بأن يبذل كل ما فى وسعه ليقدم أفضل عمل للكنيسة أو للمؤسسة . فهو يحتل هذا المركز لأن شخصاً ما أو لجنة ما تعتقد أنه كفء لذلك . وعندما يقبل هذه المسئولية ، فإنه يعنى أنه سيحقق النتائج المرجوة . وهذا هو عين ما قصده الرسول بولس عندما قال : « ثم يُسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أميناً » . (١ كو ٤ : ٢)

والقادة الحقيقيون أيضاً لديهم ثقة فى أنفسهم أو قوة ذاتية تمكنهم من أن يعرفوا ذواتهم وأن يعرفوا أيضاً ما يستطيعون عمله . فهم لا يخشون أن يفقدوا مراكزهم ، كما أنهم لا يسمحون بسذاجة لأناس عديمى الضمير أو مجردين من المبادىء الخلقية أن يتسلموا المسئولية منهم ، وفى نفس الوقت لا يشعرون بالقلق خشية أن تؤخذ منهم مراكزهم أو مسئولياتهم . لابد أنهم قد تعلموا أن يتبعوا نصيحة بولس :

« لاتهتموا بشىء بل فى كل شىء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم

لدى الله . وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع » . (فى ٤ : ٦ — ٧) .

حدث مرة أن مساعد مدير إحدى الشركات كان يشعر بالقلق وعدم الإحساس بالأمان . فكان يراقب الموقف بقلق بالغ عندما كان المدير يستدعى أى شخص لمكتبه لأكثر من دقيقتين ، فكان يذهب إلى ذلك الشخص خلال الساعة التالية ليستفسر عن سبب ذلك اللقاء . وكان يظن أنه يوجه أسئلته برقة وحذق ، إلا أن كل واحد كان يعلم أن ذلك المساعد كان يخشى أن يعد المدير ذلك الشخص بشىء ما ينقص أو يقلل من مكانته ووظيفته كمساعد للمدير .

وهناك صفة أخرى تتعلق بالذات وتعتبر نموذجاً للقادة المسيحيين الحقيقيين ؛ وهى أنهم يشعرون بالأمان والثقة فى أنفسهم وعلاقتهم بيسوع المسيح بقدر كاف يجعلهم لا يشعرون بالحاجة إلى التنافس مع أى شخص آخر .

هل هناك شخص يمكن أن يكون ممتازاً وفى نفس الوقت لا يرغب فى التنافس مع الآخرين ؟

نعم ! ومن أفضل الأمثلة التى توضح ذلك ما يتعلق بتوأمين اسمهما ستيف وفيليب . فقد تنافسا فى سباق العمالقة (فى التزلج المتعرج) فى الألعاب الأوليمبية فى سراييفو فى شتاء ١٩٨٤ . وكأخوين كان من الطبيعى أن ينافس الواحد منهما الآخر طيلة حياته . وحدث فى ختام المسابقات أن فيليب سبق أخاه واحتل المكان الأول . وعندما جاء دور ستيف ، أمسك أخوه فيليب بجهاز الراديو الصغير العامل بالبطارية **Walkie - talkie** وبدأ يخبر أخاه عن المعوقات والمشاكل التى سوف تعترضه ، وخصوصاً القاع الزلق الأملس . وقد تحدث إليه لا كمنافس يريد أن يحتفظ بالمركز الأول ، ولكن كرجل يريد أن يرى أخاه وهو يبذل أقصى ما فى وسعه . وقد احتل ستيف المركز الثانى ؛ وفى حفل تسليم الجوائز وقف التوأمان جنباً إلى جنب لكى يتسلم الإثنان الميدالية

الذهبية والميدالية الفضية .

وعندما سأل مراسلو الصحف فيليب عن شعوره نحو فوزه فى المسابقة أجاب قائلاً : « إننى كنت أحاول أن أفعل كل ما فى وسعى وبقدر قدرتى . إننى أمارس الرياضة لأننى أحبها » .

وهذا هو الإتجاه الذى يميز القادة الحقيقيين ، فهم يكتسبون مراكزهم القيادية ، ولكنهم لا يخشون أن يفوقهم الآخرون بريقاً وتألقاً .

وهذا يؤكد لنا المبدأ الحادى عشر للقيادة وهو :

القادة الآمنون فى يسوع المسيح ليس لديهم شىء يحتاج إلى حماية أو وقاية .

الفصل الثانى عشر
الغضب

شخص غير مسيحى ، حدثه كثيرون من المسيحيين عن الإيمان ، سأل مرة هذا السؤال متحدياً سامعيه : « عندما أصرخ أنا فى وجه أولادى ، لماذا تسمون هذا غضباً ، بينما لو فعلتم أنتم المسيحيين نفس الشىء تسمونه مجرد سخط مقدس . ما هو الفرق ؟ » .

وقد سمعت نفس السؤال فيما يتعلق بتصرف يسوع فى الهيكل عندما طرد الصيارف وقلب موائدهم . فنحن عادة نقول إن يسوع كان ساخطاً سخطاً مقدساً وليس مجرد شخص غاضب .

فما هو الفرق ؟

ولكى نجد إجابة لهذا التساؤل ، ولكى نعرف دور الغضب فى حياة القائد ، نحتاج أن نتأمل فى حادثة الهيكل . ويسجل إنجيل يوحنا هذه القصة فى أصحاح ٢ : ١٣ — ٢٢ . ومع أن يوحنا لا يستخدم لفظاً معيناً ليصف مشاعر يسوع ، إلا أن هذا لا ينفى أن الرب كان غاضباً ، وأنه أظهر هذا الغضب بوضوح .

هياج عظيم فى الهيكل :

عمل يسوع أربعة أشياء فى الهيكل فى ذلك اليوم : صنع سوطاً ، وطرد الحيوانات ، ورمى دراهم الصيارف على الأرض ، وقلب موائدهم . ولسنا نجد فى أى مكان آخر فى خدمة يسوع المسجلة أنه أظهر مثل هذا الغضب والسخط .

وإذا أردنا أن نعرف لماذا تصرف يسوع على هذا النحو ، فإننا ينبغى أن نفهم خلفية عملية تغيير المال فى الهيكل . إنها تبدأ بحقيقة أن الفصح كان أعظم الأعياد اليهودية . وكان الناموس يحتم على كل يهودى ذكر يعيش فى نطاق عشرين ميلاً من أورشليم أن يمارس هذه الشعائر . وخلال القرن الأول كان اليهود المتشتتون فى كل العالم يعودون إلى أرض الآباء من أجل الفصح . ويقدر الدارسون عدد الناس الذين يجتمعون فى أورشليم لهذه المناسبة بحوالى مليونين .

وكان الناموس يتطلب من كل ذكر يبلغ عمره التاسعة عشرة فما فوق أن يدفع ضريبة معينة حتى يتمكن الكهنة من الاستمرار فى تقديم الذبائح فى الهيكل . وكانوا يدفعون الضريبة بالشواقل الجليلية أو « بشواقل المقدس » لأن كل العملات الأخرى من الناحية الطقسية كانت تعتبر نجسة . ومع أن النقد من الدول الأخرى كان مقبولاً للتجارة فى أورشليم ، ولكن لم يكن ممكناً أن يستخدم فى عبادة الله . وما دام السياح يأتون بعملاتهم من كل أنحاء العالم ، فإن الصيارف كانوا يجلسون فى ساحات الهيكل يقومون بعملية استبدال العملات لهم . فلو أن تجارتهم هذه كانت أمينة لكان هؤلاء الصيارف يعتبرون ممارسين لوظيفة شريفة . ولكنهم كانوا يتقاضون مبالغ باهظة لقاء تغيير العملات ، ويقدر الدارسون أرباح هذا العمل فى العام بما يعادل مائتى ألف دولار .

كما كان باعة الحيوانات يقيمون متاجرهم فى الهيكل . وكان الناموس لا يسمح إلا بتقديم الطيور والحيوانات الصحيحة للذبيحة . فعندما كان المفتشون يفحصون الحيوانات التى يتقدم بها العابدون ، كانوا بالطبع يعلنون أن بها عيوباً . وهذا كان يضطر الناس إلى شراء حيوانات أخرى بأسعار باهظة خيالية .

وكان هذان العملان الظالمان يعتبران سيئين فى مقاييس العالم ، فإذا ارتكبا باسم الدين وبموافقة واضحة من القادة الدينيين ، فلابد أنهما كانا يعتبران أكثر

وقد غضب يسوع لما رآه يحدث فى الهيكل . فقد كان التجار ينتهكون قدسية بيت الله ، كما كانوا يكتسبون المال بطريق غير شريف ومن — كثيرين ممن كانوا غير قادرين على الدفع .

وهكذا طردهم . والسبب لأنه أراد أن يبين لهم أن الهيكل كان ينبغى أن يكون بيت صلاة ، كما هو مكتوب فى مر ١١ : ١٧ « بيتى بيت صلاة يدعى لجميع الأمم » . ومن الواضح أن الشراء والبيع كان يتم فى رواق الأمم — وهو المكان الوحيد الذى كان يسمح فيه لغير اليهود بالدخول . فإذا كان هناك واحد من الأمم يريد أن يصلى أو يتأمل ، لن يجد له مكاناً ، وذلك لأن المساحة كلها كانت دائماً مليئة بزحام وضجيج الثيران والغنم والحمام والتجار .
ومن الممكن أيضاً أن يكون يسوع بتصرفه هذا قد أراد أن يعلن أن الذبائح الحيوانية لم تعد تسر الله . ونستطيع أن نرى كيف كان الله ينظر إلى الذبائح وذلك فى الفصول الكتابية مثل إش ١ : ١١ ، ١٣ « لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب . اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات . وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر ... لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة ... » . وهناك فصول أخرى فى العهد القديم تذكر نفس الشيء ، منها إر ٧ : ٢٢ ؛ هو ٥ : ٦ ؛ مز ٥١ : ١٦ .

لقد أظهر يسوع سخطه فى ذلك اليوم . سمه سخطاً مقدساً إذا أردت ، ولكنه لم يكن مجرد غضب .

إشارات أخرى إلى الغضب أو السخط :

هناك حادثة أخرى فى حياة يسوع تبين بوضوح قدرته على الغضب . طلب رجل من يسوع أن يشفيه فى يوم سبت . وكان القادة اليهود يراقبونه ، لأنه إذا شفى الرجل يكون قد « عمل عملاً » وهكذا يمكن لهم أن يدينوه طبقاً

للناموس . ويسجل لنا إنجيل مرقس ٣ : ٥ « فنظر حوله إليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم وقال للرجل مد يدك . فمدها فعادت يده صحيحة كالأخرى » أى أن يسوع قد شفى الرجل ، بالرغم من المعارضة .

ولا نرى فى أى من هاتين الحادثتين أن الله قد أبدى عدم سروره بتصرف الإبن . بل إننا فى الحقيقة لا نرى فى أى مكان فى الكتاب المقدس أن الله قد أدان أحداً لمجرد أنه غضب . ربما يديننا لأجل أعمال معينة نقدم عليها فى غضب ، إذا كان غضبنا ينتج عنه أذى أو إساءة أو قسوة ؛ إذ أننا بذلك نكون قد أخطأنا بالفعل . **لكن الله نفسه يغضب .**

ويتحدث العهد القديم عدة مرات عن غضب الله : تث ١ : ٣٧ ؛ ٤ : ٢١ ؛ ٩ : ٨ ، ٢٠ ؛ ١ مل ٨ : ٤٦ ؛ مز ٢ : ١٢ ؛ ٧٩ : ٥ ؛ ٨٥ : ٥ ؛ إش ١٢ : ١ . ويفصل بولس الغضب عن الخطية فى أف ٤ : ٢٦ « إغضبوا ولا تخطئوا . لا تغرب الشمس على غيظكم » .

ولا يذكر الكتاب المقدس فى أى مكان أننا لا ينبغى أن نغضب . وعندما ينصح بولس من يختار لوظيفة أسقف أن يكون « حليماً » ، فإن معنى هذا ألا يكون من طراز الناس الذين يفقدون أعصابهم ويحتدون بانفعال سريع . أى أنه أمر عادى أن يغضب المسيحيون ومن بينهم القادة أيضاً . قال لى صديق مرة : هناك نوعان فقط من الناس لا يغضبون أبدا : « الأموات جسدياً ، والأموات عاطفياً » . أما بالنسبة لأتباع يسوع فإن غضبهم ينبغى أن يكون من النوع السليم .

الغضب الصحى :

إن الغضب الصحى ، الموجه ضد المظالم والآثام والشرور ، يعتبر غضباً صحيحاً وفى مكانه . وهذه بعض الأمثلة :

+ فى عام ١٩٨١ تكونت منظمة اسمها « منظمة الأمهات ضد السائقين

المخمورين » فى الولايات المتحدة . وكان الذى دعا إلى تكوينها أم اسمها Candy Lightner لأنها فقدت ابنتها فى سن المراهقة عندما صدمها سائق مخمور . واستطاعت هذه الأم أن تنقل غضبها إلى الآباء الآخرين الذين فقدوا أبناءهم أو بناتهم بطرق مماثلة . وسرعان ما اتسعت هذه المنظمة حتى أصبحت حركة قومية .

+ وقد نجح الغضب « لسوء معاملة الأطفال » فى لفت نظر الكثيرين إلى هذه المشكلة ، مع أنها لم تكن موضع الإهتمام من قبل . وهناك جهود ضخمة تبذل اليوم لوقف سوء استخدام أو معاملة الأطفال ، وجهود أخرى لعلاج وإرشاد أولئك الذين أسيء إليهم عندما كانوا أطفالاً .

+ غضبت بعض النساء اللواتى شعرن بمذلة اغتصابهن ، فجعلن العالم يدرك أن الاغتصاب عمل من أعمال العنف ، وليس عاطفة ، وأنهن لم يقمن بإثارة الرجال للهجوم عليهن . وهكذا انتشر اليوم تصميم جديد على محو مثل هذا العنف .

+ الغضب ضد المخدرات ــ وقد أدى ذلك إلى العمل الجاد لمكافحة تجارة المخدرات ولمساعدة الناس لتحرير أنفسهم من الإدمان . وصحيح أنه من العسير حل المشكلة ، ولكن على أية حال هناك تقدم ملحوظ فى هذا الميدان .

إن كثيرا من حركات الإصلاح قامت بفضل غضبة أناس شجعان ــ كانت غضبتهم كافية لإتخاذ إجراءات تصحيحية . تأمل مثلاً الغضب المتقد لبطلين من أبطال تحرير العبيد ، فعلى جانب من الأطلنطى كان Harriet Beecher Stowe يكتب منددا بالاستعباد ، وعلى الجانب الآخر من الأطلنطى كان William Wilberforce يلقى خطبه النارية فى نفس الموضوع . وكما قال جون وسلى : « أعطنى مائة رجل لا يخافون إلا الله ، ولا يكرهون سوى الخطية ، ولا يعرفون إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً ، وأنا استطيع بهم أن أهز العالم

أجمع » .

الغضب غير الصحى :

إن معظمنا ليس نبيلاً فى غضبه . فإننا نبدى عدم سرورنا بطرق ليس فيها محبة ، وليس « غضبنا » غضباً باراً تماماً فى كل الأحوال . فإننا قد نغضب لأسباب كهذه :

+ فقد نشعر بالإحباط . وقد تبدأ هذه العادة بنوبات غضب فى الطفولة المبكرة ، ولكنها لا تنتهى بانتهاء الطفولة بل تستمر معنا .

+ وقد نشعر بالقلق ؛ وقد نتصور أن هناك ما يهدد حياتنا أو ممتلكاتنا أو أحباءنا .

+ وقد لا نكون راضين عن أنفسنا أو قد نشعر بأننا فشلنا . وغالبا ما يتجه غضبنا هنا إلى داخل أنفسنا فيتحول إلى كآبة وحزن .

+ وقد نشعر بأننا عوملنا معاملة ظالمة ، أو قد نتصور ذلك . وقد يحدث شيء نشعر بأنه ظلم .

ومن المحتمل أن معظمنا لا يشعر بالارتياح للطريقة التى نتعامل بها مع الغضب . فإن بعضنا بطبعه أكثر استثارة من الآخرين ، وهو مستعد لمعركة لأبسط كلمة غير لطيفة أو لأبسط شيء . بينما يذكرنى آخرون بالأوراق المدخنة من غير لهيب ؛ إن النار موجودة تحت السطح حتى إذا حدثت حادثة معينة فعندئذ تصعد اللهب ويصعب التحكم فيها . لكن ، بغض النظر عن نوعياتنا ، يجب أن نتعلم كيف نتعامل مع الغضب لفائدة نفوسنا وفائدة الناس الذين نقودهم . فبالتأكيد ، ليس القادة هم وحدهم الذين يمكن أن يقعوا فريسة للغضب ، ولكن أدوارنا ومسئولياتنا قد تجعلنا دائماً فى حالة توتر غير عادى ، مما يؤدى إلى تفجر الموقف وإيذاء الآخرين .

معالجة الغضب :

إن أول خطوة لمعالجة الغضب هى أن نعترف بمسئوليتنا عن أفعالنا وعن ردود الفعل عندنا . وقد تبدو هذه نقطة صغرى ، ولكننى أعرف كثيرين يقرون بأنهم لا يستطيعون التحكم فى طباعهم ـــ ثم يقدمون كل المبررات التى يلتمسون فيها الأعذار لعدم ضبطهم لنفوسهم ، فيقول الواحد منهم على سبيل المثال :

+ أنا « أسمر الشعر » وهذا يدلك على أنى حاد الطبع .
+ إنا إيطالى (أو إسبانى أو ... الخ) وكلنا نتصف بسرعة الانفعال ...
+ «كل عائلتى مشهورة بسرعة الغضب »
+ « أحب أن أعرّف الناس بموقفى . وأعتقد أنى ينبغى أن أتكلم معهم بصراحة قاطعة ، حتى إذا أدى ذلك إلى تجريح أحدهم » .

والخطوة التالية لضبط الغضب هى أن نفهم ماذا يفعل الغضب بنا . فإننا عندما نغضب تحدث فينا تغييرات جسدية ، لأن أجسامنا تستعد لمعركة . فإن مادة الارينالين تفرز فى الدم ، ويزيد ضغط الدم ، وتسرع ضربات القلب . بل إن الدم يتجلط أسرع من المعتاد إذا أصبنا بجروح أثناء غضبنا ؛ كما إن « إنسان » العين يتسع ، والعضلات تتوتر ، ويتشنج الجهاز الهضمى ، ونشعر بآلام فى البطن .

فالغضب ، باختصار ، يعبئنا ويحفزنا للكفاح ولكن ، نظراً لأن أسباب الغضب قلما تؤدى إلى معركة تستخدم فيها قبضة اليد ، فإن كثيراً من التوتر قد يبقى داخلنا مما يسبب غالباً وعلى المدى البعيد كثيراً من المشاكل الجسدية والمتاعب الصحية . وهكذا نضر أنفسنا إذا كنا ننفعل ونفقد أعصابنا . وإذا أدركنا ذلك ، فقد نصبح أقل تطرفاً ونتصرف بإنفعال أقل .

والخطوة الثالثة نحو الغضب الصحى هى أن نتأمل ثانية فى قصة تطهير يسوع

للهيكل . لقد غضب يسوع واتخذ موقفاً ، ولكنه تحكم فى غضبه ووجهه نحو هدف واحد ، وهو أن يتخلص من الأشياء التى كانت تدنس الهيكل . وهذه إحدى سمات الغضب الصالح ؛ إنه يوجه بعناية وحرص نحو هدف . إن الغضب الذى لا يكبح جماحه ، والذى يتطاير عشوائياً نحو أى شيء أو نحو كل شيء ـــ مثل هذا الغضب ليس جزءاً من أسلوب يسوع فى القيادة .

إن الغضب الصالح أيضاً يوجه نفسه بدون حقد أو كراهية أو تعمد الأذى . فعندما طهر يسوع الهيكل كان تصرفه عنيفاً وقاسياً ، ولكننا لا نجد أى شيء فى عمله هذا يدل على أنه كان يكره الناس الذين كانوا فى المشهد .

وأخيراً ، يظهر الغضب الصالح نفسه فى الاجراءات التصحيحية.أن الغضب السليم يوجه نفسه ضد المشاكل ، وليس ضد الناس . لابد أن معظمنا قد سمع ذلك القول القديم : « أحبب الخاطىء . واكره الخطية » . وهذه هى الكيفية التى يعمل بها الغضب السليم ، إنه لا يهاجم الأفراد فى أشخاصهم ، ولكنه يهاجم أعمالهم الخاطئة .

وهذا لا يعنى ، على أية حال ، أننا ينبغى أن ننكر الغضب الذى نشعر به . إن كثيرين جداً من القادة ، خصوصاً من المؤمنين ، يحاولون أن يكبتوا الغضب . أو قد يكتفى الواحد منهم بالقول : « شعرت بالاستياء لذلك » أو « لقد ضايقنى ذلك » . ولكننا قد نحتفظ فى دواخلنا بكمية ضخمة من الغضب ، وقد ينفجر هذا الغضب الهائل فجأة ، وفى وقت غير مناسب فى معظم الأحيان .

إننا ، بمعونة الله ، وإذا كنا نحتفظ فى أذهاننا دائماً بمثال يسوع ، نستطيع أن نتحكم فى « درجة حرارة » ردود الأفعال عندنا ، وأن نوجه غضبنا فى قنوات صحية . وعندما نفعل ذلك نستطيع أن نكون أناساً أفضل وقادة أكثر فعالية وتأثيراً .

وهذا يقودنا إلى أقرار المبدأ الثانى عشر للقيادة .

وهو أن القادة الحقيقيين والصادقين يعبرون عن غضبهم بطرق صحية تماماً مثلما فعل يسوع .

الجزء الرابع

مشاكل القيادة

الفصل الثالث عشر
البحث عن التأييد

عندما يرشح أحدهم نفسه لمركز سياسى فإنه يبذل عدة محاولات لاستكشاف مدى التأييد الشعبى الذى يمكن أن يرافق هذا الترشيح . وعندما يبدأ الناس عملاً تجارياً جديداً ، فإن عليهم أن يتساءلوا من البداية : « هل سيشترى الناس منتجاتنا ؟ وكم نتوقع من الرواج فى السوق ؟ » . وعندما قررت أن أكتب هذا الكتاب ، كان علىّ أن أجيب عن هذين السؤالين ، لأنى أعرف أن أى ناشر لابد أن يسألهما : ١ — من سيقرأ هذا الكتاب ؟ ٢ — هل عدد الناس الذين سيشترون الكتاب يكفى أو يستحق جهود الناشر وموارده ؟

إن البحث والاستطلاع يعتبر اليوم شرطاً أساسياً لازماً قبل البدء فى أى مشروع جديد لعمل تجارى أو سياسى . وهذا ينطبق على الكنائس أيضاً . فعندما تقرر طائفة أن تنشىء كنائس جديدة فى منطقة ما ، يجرى بحث لمعرفة عدد الأعضاء المحتمل انضمامهم لهذه الكنيسة .

ولكن عندما أرسل الله يسوع المسيح ، لا يبدو أنه وضع الإحصائيات موضع الإعتبار أو الإهتمام . ولم يرسل يسوع اثنى عشر خبيراً من خبراء التسويق ليقفوا فى زوايا الشوارع ويسألوا الناس هذا السؤال : « لو أرسل الله مسيحه لكم ، هل ستؤيدونه ، وتتبعونه ، وتقدمون له نفوسكم بدون قيد أو شرط ؟ » .

يسوع و « العلاقات العامة »

لقد جعل يسوع الأمور أصعب بالنسبة له من نواح كثيرة . ويستطيع خبراء

العلاقات العامة أن يذكروا ـــ طبقاً لمفاهيمهم ـــ خمسة « أخطاء » خطيرة عملها يسوع .

أولاً : لم يذهب إلى أعضاء الطبقات العليا فى المجتمع اليهودى . فبحسب المنطق ، كان ينبغى أن يبدأ خدمته بهم ، إذ أنهم يمتلكون القوة والنفوذ والموارد .

وثانياً : لقد أضاع وقتاً كثيراً لأنه ذهب إلى أقصى الطرف الآخر ووجه دعوته للفقراء والمرضى والعشارين والرعاة والناس غير المثقفين .

وثالثاً : لم يحاول أن يتحدث إلى الناس بشأن تأييدهم له باعتباره المسيا . ولم يستخدم فى كلامه نغمة البائع الذى يريد أن يسوق بضاعته ، كما أنه لم يقدم وعوداً براقة .

ورابعاً : استبعد أولئك الذين كانوا فى مواقع القيادة . وكأنه لم يكتف بخطأ أنه لم يبدأ بأولئك الذين كانوا فى أعلى درجات السلم ، ولكنه فى بعض الأوقات كان يبدو وكأنه يتعمد مواجهتهم .

وخامساً : رفض أن يهادن أو يساوم . إن كل القادة يعلمون أنه مهما كانت مثلهم رفيعة وسامقة ، فإنهم لا يستطيعون أن يحققوا كل شيء . ولذلك تراهم يتهاونون فى بعض المطاليب غير الأساسية ، فى مقابل أن يحصلوا على كثير من الفوائد الإضافية والمصادقات والامتيازات السياسية .

ولو أن انتخاباً أجرى فى القرن الأول فى أورشليم وحولها ، فى محاولة لاختيار مخلص ، لما فاز يسوع بأصوات عدد كبير من الناس . وفى النهاية لم يكن ليسوع قدر كبير من الإعجاب والتأييد الشعبى .

ولكن فى نظر يسوع ، كانت هناك أشياء أخرى تعنيه أكثر من التأييد الشعبى . إننا نهتم كثيراً بالسمعة الحسنة ، ونحرص على تقدير الناس لنا ، وعلى

جمع كل النياشين والجوائز الممنوحة لنا ؛ ولكن يسوع وقف وحيداً بعيداً عن كل هذه الأمور .

لقد عمل يسوع الشيء الخاص به سواء لقى تأييداً من أحدهم أو لم يلق . وفى حادثة سجلها إنجيل يوحنا فى آخر الأصحاح السادس ، كان الرب قد تحدث بقوة إلى من كانوا مزمعين أن يتبعوه ، وعرفهم ما معنى اتباعه ، فرجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه . وفى النهاية قال يسوع للإثنى عشر « ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا » يو ٦ : ٦٧

وقد أسرع سمعان بطرس بالإجابة قائلاً : « يارب إلى من نذهب . كلام الحياة الأبدية عندك . ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحى » (يو ٦ : ٦٨ — ٦٩)

وبقى التلاميذ . ولكن ماذا كان يحدث لو أنهم تركوه جميعا ؟ ماذا كان يسوع يفعل ؟ أظن أن ذلك كان يحزن يسوع جداً ، ولكنى أعتقد أنه كان يستمر فى خدمته . فلقد جاء لكى يخلص الجنس البشرى ، سواء لقى تأييد الناس له أو لم يجده .

قادة بدون تابعين :

أحياناً يجد القادة وأصحاب الرؤى أنفسهم وحدهم ؛ بدون تأييد ، بسبب مشاكلهم أو أخطائهم الشخصية . فهم أحياناً بسبب اتجاهاتهم أو سلوكهم ، ينفرون الناس منهم ، ثم يشعرون بالرثاء لأنفسهم ظناً منهم أنهم « يتألمون لأجل الرب » .

حدث مرة أن أحد المؤمنين كانت لديه فكرة أن يساعد الناس على كسب المال وعلى تقديم الإنجيل فى نفس الوقت . فبدأ يصنع بعض المنتجات ويطبع عليها آيات من الكتاب وبضعة أفكار للتأمل . وعندما اتصل ببعض معارفه وأصدقائه ، أبدى أكثر من خمسين شخصاً رغبتهم فى الاشتراك معه فى هذا

المشروع على أن يسهم كل منهم بمبلغ ألف دولار على الأقل . وكانت الرسوم البيانية التى قدمها تبين كيف أن المستثمرين سيربحون على الأقل ١٨ فى المائة بعد السنتين الأوليتين . كما خطط أن يبيع عدداً أكثر من الأسهم ، وفى النهاية يبيع بضاعته فى كل أنحاء الولايات المتحدة وكندا ثم فيما وراء البحار .

ولكن الوكالة الرسمية لتمويل واستبدال الأسهم والسندات المالية أنذرته بأنه خالف القوانين فى الطريقة التى أصدر بها الأسهم وباعها . ولكنه ، بدلاً من إصلاح أموره وتصحيح أخطائه ، استمر يعمل بنفس الأسلوب . وكان يحاول أن يخفف من الموقف بقوله باستخفاف : « إنه مجرد تدخل حكومى » . ولكن الحكومة أخيراً أوقفته عن بيع أى أسهم جديدة ، واتهمته بعدة مخالفات وانتهاكات للقانون .

وكانت النتيجة فى النهاية أن كل المستثمرين فقدوا كل المبالغ التى كانوا قد أقرضوها للرجل . وفيما بعد كان الرجل يتنقل هنا وهناك وهو يشكو قائلاً : « إن الحكومة تقف ضد كل من يريد أن يقوم بأى عمل لله » ؛ كما كان يردد هذه العبارة لكل من يلتقى معه : « إنك بمجرد أن تبدأ فى أى عمل عظيم لله ، فإن الشيطان يشعل معركة ضدك » .

لكن الحقيقة أنه هو الذى جلب المشاكل لنفسه .

وفى أحيان أخرى ، على أية حال ، لا تكون قلة التأييد للقائد راجعة إلى غلطته الشخصية . فإن رؤيا يسوع بكل تأكيد من الله ؛ وكان يعرف جيداً ما يعمله . كان يفهم إرساليته وكان مصمماً على تنفيذها . ولو كان قد أنصت للناس حوله لكى يتبع أقوالهم ، لما كان قد استطاع أن يتمم شيئاً .

ولكنك قد تقول : « تمهل قليلاً . إننا قد نتأمل أسلوب يسوع ، ونفهم مبادئه ، ونتبع مثاله — ولكن إلى حد معين ، فهناك فارق كبير بين يسوع وبينى . إنه بلا خطية ، وهو يعلم دائماً ما ينبغى عمله ، ولذلك لم يكن قلقاً

بشأن تأييد الآخرين له » .

وهذا صحيح . فإننا مهما تقدمنا فى حياتنا المسيحية ، ستظل النقائص الإنسانية عاملة فينا . فإننا سنظل نصارع ضد مشاكل متنوعة مثل الكبرياء ، والاعتداد بالذات ، ومواقف الرفض أو الدفاع ، وعدم الإحساس بالأمن . وعندما نجد أنفسنا فى خلافات مع الآخرين ، فإننا لا نستطيع أن نجزم بأمانتنا الكاملة أو بولائنا الكلى لله — وأن الآخرين يعارضون الله بمعارضتهم لنا .

قال لى صديق مرة : « إن دوافعنا — فى أحسن حالاتها — ممتزجة ومختلطة معاً » . وأشار إلى أن الخطية تعمينا وتخدعنا وتختفى فينا ؛ وقال : « كيف أعرف حقاً دوافع قلبى ؟ فحتى عندما يتكلم الله أجد أن طبيعتى الشريرة أحياناً تؤثر فى سمعى فتختلط الأصوات فى أذنى » .

إرشادات للقادة الذين يشعرون بالوحدة والوحشة :

ماذا تستطيع أن تفعل لكى تحدد دوافعك عندما تريد أن تقود فى اتجاه جديد ولكنك تواجه معارضة ؟

+ أطلب الإرشاد من الله . أطلب منه أن يبين لك الإتجاه الصحيح المناسب لك . ثم اختبر خططك فى ضوء كلمته المقدسة .

+ حاول أن تشرك معك بعض المؤمنين الموثوق فيهم وأن تتشاور معهم فى شئونك . أطلب منهم أن يصلوا معك وأن يصلوا لأجلك .

+ أفحص قلبك جيداً . هل تشعر بسلام وراحة نفسية تجاه خططك ؟ هل تشعر بأن هذا يرضى الله ؟ وهل تشعر بالغضب تجاه الذين يعارضونك ؟ . إذا كان الرب يريدك أن تنشغل بعمل أو نشاط جديد ، فإنه سيعطيك سلاماً ، بالرغم من معارضة الآخرين لك .

أعرف زوجين اتبعا هذه الخطوات الثلاث . اقتنعا بأن الرب أرادهما أن

يذهبا كمرسلين إلى أفريقيا بالرغم من الاضطرابات السياسية العنيفة فى ذلك الوقت . وحاولت عائلتاهما أن تثنياهما عن ذلك ، خصوصاً وقد كان لهما ثلاثة أطفال . وبعد أن لقيا معارضة فى كل خطوة قبلتهما إحدى المرسليات أخيراً بعد تردد .

وقد تحدث الزوج إلى جماعة الصلاة التى كانت تعضده وتصلى لأجله فقال : « كان عندى يقين داخلى من الله بالدعوة لدرجة أنه لم يكن يهمنى كثيراً لو لم يؤيدنى أحد . لقد علمت أن الله كان معى ، ولذلك عزمت على الذهاب » .

وذهب الزوجان بالفعل . وقضيا عدة سنوات فى خدمة بارزة ومتميزة فى إفريقيا . ولو كانا قد أصغيا إلى الأصوات المعارضة لما ذهب إلى هناك أبداً . إن سلام الله داخل النفس هو الذى صنع كل هذا الفرق .

لست وحدك على القمة :

بعد أن سافر الرسول بولس عبر معظم العالم اليهودى ، أراده الله أن يذهب إلى رومية . ولكن ، فى كل مرة كان بولس يتحدث فيها إلى المسيحيين ، كانوا يعارضون الرحلة . وقد حذره النبى أغابوس من الأخطار التى سيتعرض لها قائلاً إنه سوف يسجن . وألح الإخوة على بولس وهم يحثونه على عدم الذهاب .

وهكذا كان جواب بولس : « ماذا تفعلون ؟ تبكون وتكسرون قلبى . لأنى مستعد ليس أن أربط فقط بل أن أموت أيضاً فى أورشليم لأجل اسم الرب يسوع » (أع ٢١ : ١٣).

وتقول الآية التالية : « ولما لم يُقنع سكتنا قائلين لتكن مشيئة الرب » .

إن القائد يضطر أحياناً — بحسب النظرة البشرية — أن يقف وحيداً .

فعندما يشعر بإرشاد الرب له فى اتجاه معين ، ويكون قد استخدم كل الوسائط واتخذ كل الاحتياطات للتأكد من إرادة الله ، ويظل متيقناً من أن هذا الإتجاه هو الإتجاه الصحيح ، فإنه ينبغى أن يطيع . وقد يعنى هذا أحياناً أنه يتصرف بمفرده — وحيداً ، دون أن يساعده أحد إلا الله .... هكذا ، بكل بساطة ....

وفى الحقيقة أننا بعد أن نسلم حياتنا ليسوع المسيح ، لن نكون بمفردنا أبداً . وفى هذا المعنى كتب صاحب المزامير : « إن أبى وأمى قد تركانى والرب يضمنى » مز ٢٧ : ١٠ . ومن المحتمل أن هذه الكلمات تشير إلى ما هو أكثر من الوالدين حرفيا . أغلب الظن أن معناها هو : « إن تركنى كل الناس ، حتى والدىّ ... »

وبحسب ظواهر خارجية كثيرة ، يمكن القول إن يسوع وقف وحيداً . فقد أراده تلاميذه أن يظهر قوته ، وأن يقهر الرومان ، وأن يدمر الأشرار . إنهم لم يفهموا إرسالية يسوع ولا أساليبه . وعندما قبض عليه هربوا من الخوف أو أنكروه . وحتى فى هذه الظروف وقف يسوع ثابتاً — مع أبيه .

التحدى المنفرد :

إن القيادة المسيحية ، مثل التلمذة ، لا تحمل أية ضمانات تجعل الناس يفهموننا . وتكريسنا لله لا يؤكد لنا أبداً أننا سنلقى تشجيعاً من أية مصادر بشرية . بل إننا كلما عظمت رؤانا ، ازداد اضطرارنا أن نقف بدون أى تأييد بشرى على الإطلاق .

وقد فعل ذلك آخرون قبلنا ؛ فكثيرون من الرجال والسيدات قد حلموا أحلاماً عظيمة ورأوها تتحقق بالرغم من المعوقات والاعتراضات .

من بين أولئك الذين حلموا مثل هذه الأحلام ، رجل اسمه S . Truett Cathy . بدأ هذا الرجل تحقيق أحلامه عام ١٩٦٦ عندما افتتح مطعماً فى

مدينة Hapeville جنوب اتلانتا ، تخصص فى طعام الهامبرجر والذى عرف فيما بعد باسم الوجبات أو الأطعمة السريعة . وبعد بضعة سنوات أخرى افتتح مطعماً آخر فى مكان قريب من Forest Park بولاية جورجيا .

وكان كل شيء يسير على ما يرام ، وبدأت الأرباح والمكاسب تتوالى ، حتى حدث يوماً ما أن شب حريق فى مطعم Forest Park فدمره تماماً . وعوضته شركة التأمين جانباً صغيراً من الخسائر ، ولكن Truett أعاد بناء المطعم من جديد . ولأنه كان قد أدرك الاتجاه الجديد نحو الوجبات السريعة ، صمم المطعم الجديد لكى يكون متناسباً مع هذا السوق . وكانت المشكلة الوحيدة هى أن Truett كان يسبق عصره ، ولذلك حدث أن المطعم الجديد لم ينجح كما كان يتوقع . ومع ذلك لم يفشل أو ييأس ، لأنه كانت له الرؤيا عما يستطيع أن يفعله . وكان يجرب طهى الدجاج بطريقة خاصة تجعل له مذاقا متميزا ؛ واعتقد أنه بالفعل استطاع أن ينتج ألذ شطيرة دواجن فى العالم . وهكذا ظل مثابراً ، بالرغم من كل الأصوات المتشائمة من حوله . وهو اليوم رئيس Chick - fil - A التى تشرف على أكثر من ثلثمائة مطعم فى أكثر من ثلاثين ولاية أمريكية .

وهناك شخص آخر ، كان خجولاً ويخشى الناس ويتلعثم فى الكلام . ولكنه كان غيوراً فى خدمة الله ، ويعمل بجد فى أى عمل يكلفه به الراعى أو المجلس .

حدث يوماً أن هذا الشاب شعر بدعوة الله له للتفرغ للخدمة . وكان الراعى والمجلس يحبونه جداً ويقدرون استعداده الدائم للقيام بأى عمل يطلبونه منه . ولذلك وافقوا — بعد تردد — على أن يتركهم ليتوجه للدراسة تمهيداً لتفرغه للخدمة . وفى اليوم الذى سافر فيه هذا الشاب كنت أقف على مقربة من أمين صندوق الكنيسة الذى قال لى : « إنه سيكون أمراً مخجلاً جداً أن يضيع هذا الشاب ثلاث سنوات فى الدراسة ، لأنه لا يمكن أن يكون موفقاً كخادم متفرغ » . وقد وافقت أمين الصندوق على رأيه .

وبعد ثلاث سنوات عاد الشاب ووعظ فى كنيستنا . ولم يصدق أحد منا أنه كان نفس الشخص الذى كنا نعرفه قبل ثلاث سنوات . لقد استطاع هذا الشاب خلال هذه الفترة أن ينمىَ فى نفسه الإتزان ورباطة الجأش ، وقد تدفقت رسالته بغزارة ، وأصبح واعظاً من الطراز الأول .

ولما سألت ذلك الشاب عما حدث له خلال فترة السنوات الثلاث أجابنى قائلاً إنه واظب على الصلاة ، وكان يقول لله : «إننى أؤمن أنك تريدنى أن أفعل هذا ، وإننى أعمل كل شيء أعرفه لكى أكون خادمك . وعليك أنت أن تعمل كل ما يلزم لكى أكون خادماً ممتازاً » .

إن رجلاً واحداً بمفرده مع الله ، قد صار واعظاً ممتازاً . ونحن فقط الذين عرفناه فى أيام شبابه نستطيع أن نقدر حقاً العمل العظيم الذى عمله الله فى حياته .

ويمكن لهذا المبدأ أن يعمل أيضاً فى حياتنا كلنا ، وهو ما يمكن أن نصوغه فى هذه الكلمات ليكون :

المبدأ الثالث عشر للقيادة :

إن قائداً حقيقياً واحداً بمعونة الله يساوى أغلبية قوية .

الفصل الرابع عشر

المتشككون

تميز أسلوب يسوع فى القيادة بقدرته على التعامل مع تشكيلة متنوعة من الأمزجة ، والحالات ، ومستويات مختلفة من النضوج الروحى . فبعد قيامته ، مثلاً ، أظهر هذه المقدرة بطريقة رائعة . حدث هذا عندما تعامل مع مريم الوفية المخلصة ، ومع بطرس النادم التائب ، ومع الإثنين المفكرين فى الطريق إلى عمواس ، ومع توما المتشكك . كانت قيادة يسوع كافية لكل هذه الحالات ، تداوى ، وتصالح ، وتعطى اليقين والرجاء .

ومن بين كل الذين واجههم يسوع بعد القيامة ، ربما كان توما أكثرهم تحدياً وعناداً . لم يكن توما بين التلاميذ عندما ظهر يسوع لهم ، وهكذا فاتته فرصة رؤية الرب المقام . واعتبر المتشكك زملاءه التلاميذ غير صادقين لأنه لم يصدق كلامهم . وبكل كبرياء وعجرفة ادعى لنفسه الحق أن يفرض الشروط التى على أساسها يؤمن .

ونحن نستطيع أن نرى فى توما ليس فقط الإنسان المتشكك بل أيضاً التقليدى المتشائم . وعندما كان يسوع يتحدث عن الذهاب إلى بيت عنيا بعد موت لعازر رد توما قائلاً للتلاميذ رفقائه « لنذهب نحن أيضاً لكى نموت معه » . لقد رأى توما فقط الجانب المظلم من الحقيقة .

وكثيراً ما يدعى القادة لكى يتعاملوا مع أناس من هذا النوع — مديرين ، وأعضاء كنائس ، وأفراد عائلات لا يرون فى أنفسهم أو أحوالهم أو خطط

قائدهم أى شىء صالح . ويميل هؤلاء الناس كثيراً إلى الكآبة بالإضافة إلى الشك . إنهم لا يثقون فى أى شخص ولا فى أى شىء .

وكثيرون من الناس يشبهون توما ، فهم يصورون لأنفسهم أفكاراً معينة ولا يريدون تغييرها . وهم يطلبون الأدلة التى يصعب أو يستحيل توافرها . ولا تكفى كلمة القائد لإقناع مثل هؤلاء الناس ؛ إنهم لا يصدقون إلا إذا رأوا بأنفسهم .

قال مارتن لوثر : « إن فن الشك سهل » . ربما لأننا نولد وفينا هذا الميل . ويعمل بعضنا على تقليل أو تصغير هذا الجانب من طبيعتنا ، بينما يعمل آخرون على تغذيته فينمو . فإذا نما جانب الشك فينا ، فإن الجانب الآخر — وهو الثقة — سيذبل ويخبو تدريجياً .

والعكس صحيح ، فإذا قللنا من الشك وغذينا الثقة ، فإن الشك سيذبل بالتدريج حتى يزول تماماً . عندما تتواجد الثقة يذهب الشك ، وعندما تذهب الثقة يعود الشك .

عندما يوجد الشك بين العمال والرؤساء ، فإن كل شىء يصبح مدعاة للشك ، فكل تأخير فى البداية يكون محسوبا ، وكل طلب للتأجيل ينظر إليه بارتياب ، وكل فكرة جديدة ترفض من البداية ، عندما يدخل الشك إلى علاقة الزوج والزوجة ، فإن كل محادثة سرعان ما تتحول إلى مجادلة . وإما أن يساء فهم الكلمات أو تحرف معانيها . ويمكن أن تكون النتيجة فى كل هذه الحالات هى الدمار والخراب .

لدى العرب مثل يقول : « حبيبك يبلع لك الزلط ، وعدوك يعد لك (أو يتمنى لك) الغلط » .. وهكذا الحال مع كل من يشك فيك .

إن الشك هو أصل وسبب معظم النزاع الموجود فى كنائسنا ، وأعمالنا ، وبيوتنا ، وحكوماتنا . إنه سبب عدم الإيمان ، والشكوك حول الله هى التى

تجعل الناس غير راغبين فى الخضوع لمشيئته وسلطانه .

كيف يتعامل القادة مع الشك :

كيف تعامل الرب مع توما ، تابعه المتشكك ؟ إننا لا نحتاج إلى فحص سيكولوجية تجاوب يسوع فقط ، بل أيضاً قيادته الروحية .

كان الأسبوع طويلاً بين القيامة والأحد التالى . فبحسب الظاهر ، كان من الأفضل للتلاميذ لو أن يسوع لم يتركهم أسبوعاً كاملاً وهم لا يزالون يرتعدون فى أول عهدهم بهذا الإيمان الجديد .

ولكن على المستوى الأعمق من هذا ، فإن يسوع عندما تركهم أسبوعاً كاملاً للتأمل والتفكير ، لابد أنه قصد أن يعطى فرصة لهم للنمو الروحى . ذلك لأن الأفكار الجديدة ، والرؤى الجديدة تحتاج إلى وقت لكى تصاغ وتشكل فى حياة التلاميذ .

وهكذا ترك التلاميذ للتفكير الهادىء ؛ وللتأمل ، لكى ينظموا ويكيفوا أفكارهم حتى يبدأوا فى الفهم . وكما تقف الأم على بعد بضعة أقدام من طفلها وهو يخطو أولى خطواته لكى تشجعه على المشى ، هكذا ترك يسوع تلاميذه وحدهم لكى يختبروا الاعتماد على النفس والاعتماد على الله — ذلك الاختبار الذى أصبح حالتهم الدائمة .

وحينئذ عاد إليهم يسوع ثانية ، ولكنه لم يكن فى هذه المرة يوجه اهتمامه للجماعة ، بقدر ما كان يخصص اهتمامه للتلميذ المتشكك ، الذى كان قد حدد شروطاً للتصديق والثقة . ولم يفعل يسوع ما يميل معظم القادة إلى فعله عادة ؛ فلم يتحدث إلى كل الجماعة مهاجماً الشك بصفة عامة ، لعل المتشكك يدرك الرسالة ؛ ولم يحاول أن يحيط نفسه بالرجال الذين يوافقون دائماً ويقولون « نعم » فى كل الأحوال ، تاركاً المتشككين جانباً ، آملاً أن يدرك المتشككون الرسالة ثم ينصرفون .

لم يكن مثل هذا التصرف يتفق مع أسلوب يسوع فى القيادة . بل إن معالجته للموقف جعلته يركز على المتشكك شخصياً والإلتقاء به ومواجهة مطالبيه .

وهل يمكن أن تتصور الخجل والارتباك الذى لابد أن شعر به توما عندما اقتبس يسوع نفس طلبه أن يلمس جروح الرب كشرط للإيمان ؟ لابد أن نفس الكلمات كان لها نغمة مختلفة ومؤثرة عندما نطق بها يسوع .

لا توجد طريقة يمكن بها أن تخجل إنساناً بسبب كلماته الجافة والطائشة ، أفضل من أن تكرر نفس كلماته على مسمعه عندما يكون هادئاً . فعندما استجاب المسيح لرغبة توما كان ذلك فى حد ذاته توبيخاً لهذه الرغبة ، بقدر ما كان أيضاً طريقاً للمصالحة وللإيمان .

وقد أعطى يسوع توما تحذيراً قائلاً : « لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً » يو ٢٠ : ٢٧ . كأن يسوع أراد أن يقول لتوما : « إن المسألة ليست مسألة دليل أو برهان ، إنها مسألة الميل والاتجاه . إن عدم تصديقك لا يرجع إلى قلة البرهان ، ولكن إلى ميلك واتجاهك » . وبعبارة أخرى ، يوجد نور كاف فى الشمس ، ولكن المشكلة هى أن أعيننا تضعف قوتها على الإبصار . أى أنه فى الأعماق خلف مشكلة الشك ، تكمن مشكلة الميل والاتجاه .

من الشك إلى الإيمان :

إن أسلوب يسوع فى القيادة كان يهدف دائماً إلى الإصلاح ، والتشجيع ، وتحريك الناس من نقطة معينة فى حياتهم إلى نقطة أعلى ، ومن الشك إلى الإيمان ، ومن نزعة التشكك إلى نزعة التصديق والتسليم ، ومن روح العداوة إلى المحبة . وبعبارة أخرى كان يسوع يساعد الناس على النمو .

ولم يتعامل يسوع مع الأفراد لكى يخجلهم أو بقصد التباهى ولفت الأنظار إليه ، مع أنه كان له كل الحق أن يفعل ذلك . ولم يواجه المتشككين مواجهة

شخصية لمجرد أن يظهر لهم كم هم منحطون ، ولكنه أراد أن الناس يتجهون إلى استثمار الطاقات والإمكانيات التى وهبها الله لهم .

وكما صاح نثنائيل عندما علم أن يسوع كان قد رآه وهو تحت التينة قائلاً : « يامعلم ، أنت ابن الله » (يو ١ : ٤٩) ، هكذا ينسى توما ميله إلى الشك وعدم التصديق فينفجر فى اعتراف بهيج قائلاً : « ربى وإلهى » (يو ٢٠ : ٢٨)

إن التغير السريع فى اتجاه وتفكير توما يجعلنا نجزم ، بلا أدنى شك ، بأن استراتيجية يسوع قد حققت أهدافها . ذلك لأن النتيجة التى كان يهدف إليها هى النمو الروحى لأولئك الذين كانوا يشكون فيه .

وهذا هو المبدأ الرابع عشر فى أسلوب يسوع فى القيادة ، وهو :

القادة الحقيقيون يساعدون المتشككين على أن يتحولوا إلى مصدقين ومؤمنين واثقين .

الفصل الخامس عشر
النقد

دخلت أحد المكاتب يوماً ما فرأيت هذه العبارات مكتوبة على لوحة صغيرة موضوعة فوق مكتب المدير :

« لكى تتجنب النقد لا تقل شيئاً ، لا تعمل شيئاً ، لا تكن شيئاً » .

ترى هل يمكن تنفيذ ذلك ؟

وفى الحقيقة ، لست أتصور أنه يمكن تجنب النقد ، خصوصاً بالنسبة للقائد .

ويعانى معظمنا فى كيفية تقبل النقد . وتصبح مواجهة النقد أمراً صعباً إذا قدم الناقد أسباباً كافية يبرر بها نقده . ولكن يصبح الأمر أسوأ كثيراً إذا كان النقد قاسياً أو ظالماً أو مقدماً من جماعة ثالثة دون أن تكون لك فرصة للدفاع أو للتوضيح .

وليس منا من هو عصى على النقد أو لديه حصانة ضده . تأمل هذا الوابل من قذائف الكلمات الموجهة لشخصية معروفة .

« إنه ليس أقل من مجرم قاتل . إنه خائن للأصدقاء كما أنه منافق فى حياته العامة ، إنه دجال محتال أفاك ، إما أنه نبذ كل المبادىء الحسنة أو أنه لم يكن له شيء منها على الإطلاق من قبل » .

كان الرئيس جورج واشنطون هو المقصود بالعبارات السابقة . أما الرئيس إبراهام لنكولن فقد كتب عنه أحد محررى الصحف قائلاً : « إن الرئيس مهرج جلف فظ . إنه الغوريلا الأصلية . إن أولئك الذين يسافرون المسافات الطويلة

إلى إفريقيا بحثاً عن الإنسان القرد هم أغبياء لأنهم يستطيعون الحصول بسهولة على ما يبحثون عنه فى مدينة اسبر نجفيلد بولاية الينوى حيث يوجد إبراهام لنكولن » .

فإذا كان أمثال واشنطن ولنكولن يمكن أن ينتقدوا بمثل هذه القسوة ، لا غرابة أن القادة أمثالنا يمكن أن ينالوا نصيبهم من الانتقادات اللاذعة .

المنتقدون ليسوع :

ولم يحاول يسوع أن يهرب من مواجهة أولئك الذين أرادوا أن ينتقصوا من قدره . فإن أولئك الذين كانوا ينتقدونه إنما فعلوا ذلك لأسباب متعددة من بينها الحقد والكراهية والخوف . فعندما كان يحاور بعض قادة اليهود ، مثلاً ، قالوا له : « بك شيطان » (يو ٧ : ٢٠) . وبلغة العصر الحاضر يمكن أن يقول له المنتقدون الدينيون : « أنت مريض بالشيزوفرانيا وعندك جنون العظمة وينبغى أن تحتجز فى مكان منعزل » .

وهناك عبارة وردت فى يو ١٥ : ٢٥ توضح هذا المعنى : « لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم إنهم أبغضونى بلا سبب » . أى أن منتقدى يسوع لم يكن لديهم أى سبب حقيقى يبرر كراهيتهم له . إن كثيرين لم يفهموه ، ولكن كثيرين أيضاً لم يبذلوا أى جهد لكى يفهموه . لقد كانوا يرفضون أى واحد يحاول أن يحدث أى تغيير فى أى شيء ، بينما كان يسوع شخصية مغيِّرة .

إننى دائماً أتعجب كيف يرى الناس أمامهم الدليل واضحاً على تحنن يسوع وشفائه للمرضى ، ومع ذلك لا يزالون يتكلمون ضده . ولكن هذا ما حدث ، كما ذكرنا فى الفصل السادس ، عند الإشارة إلى الرجل الذى شفاه يسوع عند بركة بيت حسدا (يو ٥ : ١ — ١٦) . فإن القادة الدينيين عندما رأوا أن الرجل الذى كان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة قد شفى ،

لم يتهجوا ، بل انتقدوا يسوع لأنه شفى الرجل فى يوم سبت . « ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا فى سبت » (يو ٥ : ١٦) .

وفى يوم سبت آخر شفى يسوع إنساناً كان أعمى منذ ولادته . « فقال قوم من الفريسيين هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت » . (يو ٩ : ١٦) .

وفى عيد المظال ، تجادل الناس فيما بينهم عن يسوع ؛ فبعضهم عرفوا عن أعماله وتحدثوا علانية عن قوته وعن صلاحه . « وكان فى الجموع مناجاة كثيرة من نحوه . بعضهم يقولون إنه صالح . وآخرون يقولون لا بل يضل الشعب » . (يو ٧ : ١٢) .

وعندما قبض القادة الدينيون على يسوع ، جاءوا به إلى بيلاطس . وعندما سألهم بيلاطس عن أية شكاية كانوا يقدمونها عليه أجابوا وقالوا له : « لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك » . (يو ١٨ : ٣٠) .

أليس غريبا أنهم لم يذكروا قائمة « جرائمه » ؟ من الواضح أن بيلاطس لم يصر على ذلك . فإن أولئك الذين كانوا يتهمون يسوع كانا يمثلون المتدينين فى عصرهم ؛ وبناء على أقوالهم وشهرتهم جاءوا بيسوع للقصاص وللموت .

و لم يتغير مثل هذا الأسلوب فى انتقاد المسيحية . حتى عندما زار الرسول بولس القادة فى رومية ، كما ورد فى ختام سفر الأعمال ، وأراد أن يتحدث إليهم عن يسوع ، وافقوا على أن ينصتوا إليه ولكنهم قالوا : « ... لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يقاوم فى كل مكان » (أع ٢٨ : ٢٢) . وتسجل القصة أن بعضهم اقتنع بما قيل وبعضهم لم يؤمنوا . وإنى أظن أن أولئك الذين لم يؤمنوا كانوا قد قرروا ذلك من قبل — تماماً كأولئك الذين جاءوا بيسوع إلى بيلاطس .

التعامل مع الانتقاد :

لا يبدو أن يسوع قد تضايق من الانتقاد . ربما كان يتوقع ذلك لأنه كان يعرف شر قلوب الناس . ولكن معظمنا يجد صعوبة فى مواجهة الانتقاد ، خصوصاً عندما يأتينا من مؤمنين آخرين .

لى صديق كان يعلم فى فصل فى مدرسة الأحد يضم قرابة ثلثمائة من البالغين ـــ تعرض لوابل من الانتقاد ، فقال : « إننى أتوقع أن يأتى الانتقاد من الناس خارج الكنيسة ، ولكن المؤسف جداً أن يفعل ذلك بعض إخواننا وأخواتنا فى المسيح . وما هو أسوأ من ذلك ... إنهم قد يخبرون آخرين أيضاً ثم يأتى هؤلاء الآخرون ويخبروننا بما قالوه لهم » .

ومن ناحية أخرى ، فإن النقد قد يكون ذا هدف . وقد أدرك الرسول بولس أن أى قائد يحتاج إلى أن ينفتح ليصغى لأصوات أخرى . ولذلك ذهب إلى أورشليم مع برنابا وتيطس « .... وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً » . غل ٢ : ٢ .

وكان بولس قد بدأ يكرز بأن الإنجيل يحررنا من ناموس موسى . ولم يكن آخرون قد أعلنوا بعد هذا المفهوم الجديد والجرىء . ولذلك كان من الطبيعى أن يوجه إليه كثير من الانتقاد ، ولذلك وقف أمام قادة الكنيسة ليشرح الأمر ، وقد أيدوه بالفعل وساندوه.

وكان من المستحيل ،بالطبع ، أن يهرع بولس إلى أورشليم فى كل مرة يوجه إليه انتقاد . وكتب الى أهل كورنثوس يقول : « وأما أنا فأقل شىء عندى أن يحكم فىّ منكم أو من يوم بشر .. ولكن الذى يحكم فىّ هو الرب » (١ كو ٤ :٣،٤) . ولم يكن هذا كبرياء أو تعال من جانب بولس ، ولكنه كان بمثابة قرار بمواجهة الصراع والإنتقاد . لقد فعل بولس ما اعتقد أنه صواب ، وأدرك أن الله سيكون هو الحكم النهائى » .

الإستجابة الأولى :

ماذا ينبغى أن تكون استجابتنا الأولى للإنتقاد ؟ أننا كقادة مسيحيين نحتاج إلى أن ننصت . فربما كان المنتقدون لنا يقولون الحق . ربما كان قولهم الحق خالياً من اللباقة أو اللطف ، ولكن الحق يظل هو الحق مهما كانت الطريقة التى يأتينا بها .

عندما قيل لابراهام لنكولن إن وزير خارجيته قال عنه إنه « أحمق أو أبله » ، قال لنكولن « إن وزير الخارجية رجل حكيم ، فإذا قال عنى إنى أحمق ، ينبغى أن أفحص نفسى جيداً » .

وعندما يهاجمنا المنتقدون بعنف ، فإن معظمنا ينفجر غاضباً ، ونرد بعنف مماثل ، أو نشعر برغبة فى الصياح أو الصراخ . فنحن نريد دائماً أن ندافع عن أنفسنا ، وأن نبين ظلم الناس لنا ، أو نشكو وننتحب لأن الآخرين لا يفهموننا . بدلاً من أن نفعل ذلك كله ينبغى علينا أن ننصت .

الإستجابة الثانية :

عندما يكون هناك ما يبرر الإنتقاد ، فإننا نحتاج أن نصحح أنفسنا بقدر المستطاع . ويمكننا أن نفعل ذلك إذا كنا نفحص قلوبنا ، ونتضرع إلى الله أن يرشدنا ، ونطلب منه أن يفتح أذهاننا لكى ننصت بوضوح ، كما نطلب مشورة الآخرين أيضاً.

وإذا كنا ، بعد ذلك كله ، نشعر بأن الإنتقاد كان خطأ ، فإننا نحتاج أن نطلب من الله نعمة تمكننا من أن نتحمل المعارضة . ويستطيع بعضنا أن يفعل ذلك أفضل من الآخرين ، إلا أن قليلين منا ــ بقوتنا الشخصية ــ من يستطيع أن يتجاهل الإنتقاد الظالم بدون معاناة داخلية .

وبعد كل شيء ، نحن نريد أن الناس يحبوننا ويتفقون معنا . بل إننا أحياناً

نتوقع موافقة الآخرين على كل مواقفنا . ولذلك ، عندما تكون استجابة الناس لنا سلبية ، تجرح مشاعرنا ، ونظن أن هذه إساءة لنا . فمثلاً ، أخبرنى صديق لى ــ وهو رجل أعمال ــ أنه فى الخمسينيات كان يدير عملاً مشتركاً مع البيض والسود بدون تفرقة . فانتقده كثيرون من البيض لأنه كان يعامل السود على قدم المساواة معهم . وأخبرنى أنه لم يحاول أبداً أن يجادل مع دعاة التمييز العنصرى ، متصوراً أن أعماله سوف تتحدث بأفصح من كلماته . ولكنه اعترف قائلاً: « إننى أحياناً أضطر ألى أن أقضى فترات طويلة فى الصلاة حتى لا أغضب أو أثور بسبب اتجاهات التعصب هذه » .

ونستطيع أحياناً أن نذكر أنفسنا ، كما قال الرسول بولس : « الذى يحكم فىّ هو الرب » . فإذا أدركنا أننا قد جعلنا الرب أولاً فى حياتنا ، وأننا قد استخدمنا كل الفحوص والمقاييس السابق ذكرها ، لا نحتاج أن نضيع الوقت الثمين لندافع عن أنفسنا فى مواجهة الذين ينتقدوننا .

الإستجابة الثالثة :

وأخيراً نحتاج أن نعد أنفسنا لمواجهة الإنتقاد الذى سيوجه إلينا . فإذا عرفنا أن الناس سوف يتكلمون ضدنا ، وسوف يصّغرون من شأننا ، بل وقد يحاولون تمزيقنا وتحطيمنا ، فإننا نستطيع أن نبنى أنفسنا ونقوى أنفسنا ضد هجماتهم وإتهاماتهم .

تعلمت إحدى السكرتيرات أن تتغلب على الانتقاد بأن احتفظت بصلاة مطبوعة وضعتها فى ركن من أركان مكتبها بجوار تليفونها . ولأنها كانت بحكم عملها تتلقى معظم الشكاوى الموجهة إلى مؤسستها ، فقد دربت نفسها على أن تقرأ هذه الصلاة فى صمت عدة مرات ، بينما كانت تنصت عبر التليفون إلى المتكلمين الغاضبين والشاكين . وكانت كلمات هذه الصلاة التى ترددها تقول :

« أيها الرب يسوع ، يامن شعرت بكراهية الخطاة ، ومع ذلك أحببتهم . أعنى لكى أتذكر أنك تستطيع أن تساعدنى لكى أحب أولئك الذين ينتقدوننى » .

الأقلية ذات الصوت المرتفع :

يوجه الإنتقاد للقادة فى معظم الأحيان من أقلية صوتها مرتفع . وهم يتكلمون كثيراً وبصوت عال لدرجة أنه يصعب أن تعرف كم عدد الناس الذين يمثلونهم .

أحدث أحد الرعاة عدة تغييرات فى جمهور كنيسته مما أدى إلى نمو الكنيسة لأول مرة خلال تسعين عاماً . وبسرعة تطلب الأمر أن يعقد اجتماعين صباح الأحد حتى يمكن للكنيسة استيعاب العدد الكبير من الناس ، ثم اضطروا أن يوسعوا مبنى الكنيسة ويضيفوا حجرات جديدة للدراسة والتعليم .

وبدأ الراعى فى ذلك الوقت يسمع كثيراً من الإنتقاد يوجه اليه . وكان الإنتقاد يأتيه عادة عن طريق أحد الأعضاء الذى كان يبدأ حديثه قائلاً :« الناس يقولون ... » .

ويوماً ما ، شعر الراعى بإحباط شديد ، وكان يتمشى داخل مكتبه ذهاباً وجيئة ، وهو يسأل نفسه عما إذا كان يتحتم عليه الإستقالة بسبب هذه الإنتقادات . لم يستطع أن يتذكر أى شىء طيب عمله ، ولا كيف عاون الكنيسة على النمو ، ولا كيف تغيرت حياة الناس . كان يشعر فقط بالإنتقاد الموجه اليه . وكانت التعليقات التى كان يسمعها مليئة بروح العداء حتى شعر كأن كل الناس فى الكنيسة كانوا ضده .

وكتب إلى صديق له رسالة قال فيها :

« إنه موقف فظيع عندما يكون معك أربعمائة عضو ، منهم ثلثمائة وخمسون يكرهونك ، والخمسون الآخرون لا يبالون » .

وحينئذ ، وهو فى قلب معاناته وعذابه ، توقف قليلاً ثم ركع وصلى طالباً أن يعطيه الرب إرشاداً وسلاماً فى ذهنه ونفسه . وفيما بعد شرح ما حدث فقال :« وحالاً أدركت أن الإنتقادات والشكاوى التى أثقلت ذهنى كانت كلها مقدمة من أربع عائلات — وكانوا يمثلون مركز القوة فى شعب الكنيسة قبل أن أصير راعياً — وهم لم يكونوا يريدون أى تغيير لأى سبب . كما أدركت أيضاً أنهم كانوا يمثلون أقلية ضئيلة فى شعب الكنيسة » .

إننا ينبغى أن نصغى إلى أصوات الإنتقاد الموجه إلينا ، ولكن ينبغى أيضاً أن نضع هذه الأصوات فى حجمها الصحيح وفى اطارها النسبى . فقد نظن ونحن نقرأ عن الاضطهاد والإنتقاد الذى تعرض له يسوع أن كل واحد كان يعارضه . ومع ذلك فإن إنجيل مرقس يقول :« وكان الجمع الكثير يسمعه بسرور » مر ١٢:٣٧ ربما كانت الأصوات المنقدة عالية ، بل وقاتلة أو مهلكة ، ولكنها جاءت من زمرة من القادة الدينيين الذين لم يكونوا يريدون أن يسوع يغير الأرشاد . أما عامة الناس ، فقد سمعوا ، وابتهجوا ، وتقبلوا تعاليم يسوع المسيح وتلاميذه .

عندما تواجه الإنتقاد يحسن أن تسأل نفسك بضعة أسئلة قبل أن تسمح لنفسك بأن تضطرب عواطفك أو تهتاج :

* من أين يأتى الإنتقاد ؟
* هل كل واحد ضدى ؟ أم أنهم فقط مجرد مجموعة قليلة من الساخطين ؟
* هل هناك بعض الحق فى الإنتقاد — ولو كان قليلاً ؟
* هل هناك شىء أحتاج أن أتعلمه من ملاحظات المنتقدين ؟

ذكّر Lyle Schaller وهو مراقب قديم للكنائس والطوائف — ذكّر مرة جماعة من قادة الكنيسة أن بعض الناس دائماً يشكون ، وأن لدى هؤلاء الناس قائمة جاهزة من الإنتقادات يوجهونها كلما اقترح برنامجاً جديداً وهى :

* هذا البرنامج فيه ضجيج أكثر من اللازم .
* إنه عالمى جداً .
* إنه مكلف جداً من الناحية المالية .
* إنه لا يتناسب مع مفهوم الوكالة المسيحية فى استخدام مال الرب .
* إنه سوف يجتذب نوعية خاطئة من الناس ...

ولكنه أضاف قائلاً :« إلا أن هناك آخرين ممن يهتمون بالبرنامج ، فإنصت إلى هؤلاء . لا تتوقف عن نشاط يريده خمسون شخصاًلمجرد أن ثلاثة أشخاص قد بدأوا ينتقدون .

قال لى صديق مرة :« ربما ينبغى أن تشعر بالإرتياح عندما ينتقدك الناس » . وبدا هذا الكلام قدامى بلا معنى ، فسألته عما كان يقصد بهذه العبارة . فأجابنى بإقتباس كلمات يسوع : « طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين . إفرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات . فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم » . (مت ٥:١١،١٢)

عندما تشعر أنك تستحق الإنتقاد ، تعلم منه . وعندما يكون الإنتقاد ظالماً ، تذكر مبدأنا التالى ، وهو **المبدأ الخامس عشر**

شخص واحد فقط كان كاملاً ، ومع ذلك فقد انتقدوه أيضاً .

الفصل السادس عشر

تلال الركام والجبال

ترك قائد مسيحى المؤسسة التى عمل بها بعد أقل من ستة شهور من التحاقه بها ، مع أنه كان قد حقق إنجازات مميزة فى كل أعماله ، كما أثبت كفاءة ممتازة فى الشركة الجديدة التى عمل بها فيما بعد . وحدث أن عرّفنى به أحد الأصدقاء . وعندما كنا نتحدث معاً سأله صديقى قائلاً : « لماذا تركت تلك المؤسسة ؟» فأجاب قائلاً : « يمكننى أن ألخص الأسباب كلها فى كلمة واحدة وهى : « التفاهات » . ولم يسترسل فى ذكر الأسباب فى شبه خطبة أو محاضرة ؛ كما أنه لم يذكر أسماء أشخاص ، ولكنه اكتفى بالقول : « إنهم لا يدركون معنى العمل كفريق ، فكل واحد يريد أن يربح على حساب الآخر . كانت تفاهات الحسد والمنافسة موجودة فى كل مكان . لقد حاول كل واحد أن يبنى مملكة خاصة به ثم يستولى على مملكة الآخر . لقد أردت أن أعمل مع كل واحد . ومع أننى حاولت ألا أقحم نفسى فى أى صراع أو منافسة ، إلا أننى بعد ستة شهور اكتشفت أننى إذا تعاونت مع شخص ما يفهم الآخر أنى أعارضه . ولذلك قررت أن أترك المؤسسة » .

إن المشاكل التافهة قد تبدو صغيرة — وهى بالفعل كذلك — ولكنها تضعف المعنويات والإنتاج . إن المشاكل الضخمة مثل الحفاظ على الكيان المالى من السهل مراعاتها ، ولكن المشاكل التافهة تتسلل خفية دون أن يلحظها أحد فى معظم الأحيان . وفى الواقع أن تجاهل مثل هذه المشاكل قد يؤدى إلى مشاكل ضخمة نسبياً يصعب علاجها .

الناس التافهون :

هاك بعض الأمثلة من القادة التافهين الذين يحدثون الصراعات والإنقسامات بسبب اتجاهاتهم وأساليبهم فى العمل :

الوعود ـــ الوعود فيقول الواحد منهم : « إذا أردت أى شيء ، عليك فقط أن تطلب » ، وقد يقصد هذا بالفعل ، على الأقل فى الوقت الذى يقول فيه هذه العبارة . ولكن لا تكاد تمر عشر دقائق حتى يكون قد نسى كل شيء تماماً .

الكلمات السبع الأخيرة المشهورة :

فى كل كنيسة أو مؤسسة تسمع هذه الكلمات السبع الأخيرة المشهورة وهى :« لم نجرب هذه الطريقة من قبل أبداً » ومثل هذا الشخص التافه الذى يقول هذه الكلمات يحب عادة أن يدخل فى تفاصيل لا نهاية لها ليوضح أن شيئاً شبيهاً بهذا قد جرب قبل اثنتى عشرة سنة مضت وثبت فشله .

أول شيء غداً :

ومثل هذا الشخص دائماً يماطل ويسوف ، ويبدو أنه مشغول دائماً ، وأن لا وقت عنده ليقوم بأى عمل جديد، ولا يتمم أى شيء فى موعده أبداً . وهو دائماً يسألك :« متى تريد هذا العمل ؟ إنه سيكون أول عمل أنجزه غداً وسيكون جاهزاً لك » .

المعارض لأفكار الآخرين :

ومثل هذا الشخص يكون لديه عادة كثير من الأفكار ، وطاقة ضخمة ، وهو دائماً يؤيد البرامج الجديدة ما دامت تتمشى مع الفكرة الأصلية ، ولكنه لا يراها نافعة إذا كانت نابعة من أفكار أخرى .

هل فى ذلك ما يعود بالمنفعة الشخصية لى ؟

ومثل هذا القائد تراه يجمد تأييده واهتمامه وطاقته حتى يعرف قدر الفائدة التى سوف تعود عليه لقاء الجهد الذى يبذله . فإذا كان محنكاً بقدر كاف ، تراه يجيد التلاعب والمناورة فى الحديث ، حتى تبدو تحفظاته وكأنها أفضل طريق منطقى يمكن أن يتبع . ولكنه على أية حال لا يهتم إلا بنفسه فقط .

وهناك أمثلة أخرى كثيرة للأساليب التافهة الموجودة ، تشمل : السخرية والتهكم ، ونشر الإشاعات ، والإنهماك فى القيل والقال ، وإدعاء الخبرة فى كل شيء ، والهزل ، وتبلد الشعور .

إن الناس التافهين ــ كالمشاكل تماماً ــ يمكن أن يصرفوا القادة عن العمل على تخطى أو مواجهة الصعوبات الخطيرة . ألم نسمع كلنا عن كنائس حدثت فيها مجادلات كثيرة مثلاً حول اللون الذى يدهن به الحائط ؟ أو حول إختيار نوع المقاعد للعبادة ؟ إنهم يظلون منشغلين بمسائل جانبية تستغرق كل اهتمامهم لدرجة أنهم يهملون الرسالة الحقيقية للكنيسة . ويمكن أن ينطبق نفس هذا الكلام على دوائر الأعمال بل وحتى على العائلات أيضاً .

نماذج من الإستجابات الشائعة للمشاكل الصغيرة :

كيف تتعامل المؤسسات والهيئات عادة مع المشاكل التافهة ؟

١ ــ **تتجاهلها** : وهذه هى أكثر الطرق شيوعاً. فإما أن القادة لا يرونها بالمرة ، أو أنهم يعتبرونها تافهة جداً لا تستحق الإهتمام بها .

٢ ــ **تتجنبها** : فقد يتعرف القادة على المشكلة ، ويعترفون بأنه إذا لم تصحح فإنها يمكن أن تسبب ضرراً كبيراً . ولكنهم يقولون فى الواقع : « ربما لو درنا حول المشكلة لزالت من تلقاء نفسها » . ولسوء الحظ ، إن السماح للمشكلة أن تستمر دون ضبط أو فحص إنما يعطيها الوقت والطاقة وربما التشجيع أيضاً أن تتفاقم وتستفحل .

٣ ـ ترجئها وتؤجلها : ويعترف هذا التكتيك بالمشكلة ويقترح تأخيرها . وهو يطلب من الناس الهدوء وضبط النفس ، ويعد بأن القيادة سوف تكافح لحل المشكلة فى وقت لاحق . ويمكن أن يكون هذا نافعاً ، عندما يقول القادة : « سنعود إلى هذه المشكلة ثانية » ويعلنون توقيفها أو تجميدها مؤقتاً . ولكن الوعد بحل المشكلة فيما بعد لا يمكن أن ينسى .

٤ ـ تحلها : إن القادة الفعالين المؤثرين يحاولون دائماً أن يحلوا الصراعات التافهة قبل أن تكبر وتستفحل . فهم لا يستخدمون المدفع عندما يمكن أن يكون المسدس كافياً ، ولكنهم يلاحظون الخلافات البسيطة ويحرصون على مصالحة كل الفرق المتخاصمة قبل أن تتسع هوة الإنقسامات وتستشرى .

كيف تعامل الرب مع المشاكل الصغيرة :

فى انجيل يوحنا ٢١ : ٢١ نجد مشكلة صغيرة برزت على السطح . وكان يسوع لتوه قد أشار إلى أن بطرس سيموت يوماً ما كشهيد . فالتفت بطرس ونظر يوحنا ثم قال ليسوع : « يارب وهذا ماله » .

وربما كان سؤال بطرس عن دور يوحنا فى عمل الله يحمل نغمة الحسد . فقد كان بطرس مكرساً للمسيح ومخلصاً له ، بينما كان يوحنا معروفاً بأنه «التلميذ الذى كان يسوع يحبه » ؛ ولذلك كان هناك إحتمال بوجود منافسة بين الإثنين . وربما كان السؤال يبين أيضاً إهتماماً طبيعياً بمصير يوحنا .تُرى هل سيكون مهماً كبطرس من حيث قيادة العمل فى المستقبل ؟ وهل سيصحب بطرس يوحنا معه ؟ هل كان هناك شيء خاص ومتميز ينتظر يوحنا ؟

وأجاب يسوع قائلاً : « إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجىء فماذا لك ؟ إتبعنى أنت » . (يو ٢١ :٢٢) . ولا شك أن عبارة كهذه كانت توبخ بلطف أى شر يمكن أن يكون مستتراً فى سؤال بطرس . كما أنها تحذر من محاولة إجبار الناس الآخرين على أن يكون لهم نفس النمط الذى لنا ، أو طلب المعاملة

« بالمثل » فى خدمة الرب . وطلب يسوع من بطرس أن يدع يوحنا وحده وأن يركز على خدمته الخاصة .

لا يوجد شيء ، فى أى مؤسسة أو كنيسة ، يمكن أن يسحق ويخمد الإشاعات والأحقاد والوشايات قدر قتلها فى مهدها . أما ترك الأمور للتخمين والتأمل فإنه قد يؤدى إلى أخطر حال فى الجماعة . ومع ذلك فإن يسوع لم يقل لبطرس :« إن أفكارى من جهة يوحنا هى كذا وكذا ، ولكن إحتفظ بذلك سراً بيننا لا تخبر به أحداً ». ولم يسأله قائلاً: « ماذا تظن أننى ينبغى أن أفعل بيوحنا ؟» . ربما كانت مثل هذه الأقوال تملأ بطرس بالغرور والتفاخر ، أو تضخم فيه «الذات»، فتسبب مشاكل جديدة . وهكذا وازن يسوع بين تشجيع التأمل والتخمين ، وإفشاء المعلومات التى تحتاج إلى الكتمان .

ويمكن أن يتضح لنا أيضاً من هذا الفصل الكتابى أن أسلوب يسوع فى القيادة لم يكن أسلوب « فرق تسد ». لقد حاول أن يقلل احتمالات الصراع بين بطرس ويوحنا لا أن يفجرها . لقد كان بذر الخلافات هو أسلوب القوى السياسية الاستعمارية التى كانت تهدف من زرع الإنقسامات إلى ضمان استمرار الإعتماد عليها ، بل وانتهجت بعض جهود المرسليات القديمة نفس النهج . كما أن بعض الرعاة يشعرون أن بقاءهم يتوقف على الحفاظ على الإنشقاقات وتعميقها وتغذيتها بإستمرار. وبعض رؤساء الشركات والقادة السياسيين يفعلون ذلك أيضاً ، ليس فقط لكى يؤكدوا سيطرتهم ، بل أيضاً لأنهم لا يثقون فى تابعيهم . وهم يحرصون على أن تظل مؤسساتهم دائماً فى حالة اضطراب واهتياج عظيم . وعندما تهدأ الأمور يسرع هؤلاء القادة بخلق المشاكل لمجرد إثبات الحاجة إليهم لتقديم الحل لهذه المشاكل.

المشاكل التافهة فى الكنيسة الأولى :

لم تتوقف المنافسة والأمور المثيرة بصعود يسوع المسيح ، فالكنيسة ـــ حتى

فى أيامها الأولى ـــ كانت مضطرة لمواجهة مثل هذه الصعوبات .

وكما هو مسجل فى سفر الأعمال ، تبنت الكنيسة مناخاً إشتراكياً يتكفل بالأرامل والأيتام . وبدأت المشاكل حالاً تواجه الرسل الذين كانوا قد تعلموا مهارات القيادات من يسوع المسيح :

« وفى تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين أن أراملهم كن يفضلن عنهن فى الخدمة اليومية . فدعا الإثناعشر جمهور التلاميذ وقالوا لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد . فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة . وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة. فحسن هذا القول أمام كل الجمهور ...» (أع٦:١ ـــ ٥) .

ماذا يمكن أن نتعلم من هذه الحادثة ؟ لنلاحظ أن قادة الكنيسة عملوا ثلاثة أشياء حكيمة :

* لقد تصدوا للمشكلة فوراً . لم يتركوا لها فرصة لتكبر فتسبب إنقساماً للكنيسة .
* وعينوا أناساً مشهوداً لهم ليهتموا بملاحظة المشكلة وحلها . وأظهروا إدراكهم لمدى خطورة المشكلة وجسامتها ؛ ومن الواضح أن اليونانيين كانوا فى الأصل يهوداً لكنهم تأثروا بالحضارة اليونانية ، التى أدت تلقائياً إلى احتمال الصدام والصراع .
* لم يسمحوا لمسألة صغرى نسبياً (توزيع الطعام اليومى) أن تعطلهم عن الدراسة والصلاة وممارسة القيادة على الكنيسة ككل .

وقد ميّز هؤلاء القادة ، ربما تحت رئاسة بطرس ، بين الأمور المهمة والأمور الصغيرة ؛ وركزوا على إعداد أنفسهم للذهاب إلى العالم أجمع لإتمام المهمة العظمى التى كان يسوع قد كلفهم بها .

موقف بولس من المشاكل التافهة :

عندما كتب بولس رسائله إلى المهتدين للمسيح ، كان يشير عادة إلى المشاكل القائمة فى كنائس معينة . وكانت هذه المشاكل تتراوح بين الكبيرة والصغيرة . وفى رسالتيه إلى كورنثوس عالج بولس ، على سبيل المثال ، قضايا كبرى تتعلق بالفضيلة وبالمواهب الروحية . ولكنه أيضاً قدم للكورنثيين نصائح تتعلق بأكل اللحم الذى يكون قد ذبح للأوثان ـــ وهو ما يعتبر ، نسبياً ، قضية صغرى . ولكنها مع ذلك كانت تسبب انشقاقات . ومن الواضح أن بعض المسيحيين اشتروا أفضل أجزاء اللحم من محلات لبيع اللحم ، من الدرجة الثانية ـــ إذا جاز التعبير (فالوثنيون كان لابد أن يفعلوا شيئاً ما باللحم ما دامت الأصنام لا تأكله). وقد سيطر بولس على الموقف ، وبسرعة أنهى الجدل الذى كان يدور حول السماح بهذه الممارسة (١كو٨).

وفى مناسبة أخرى كتب بولس رسالة تقدير لهدية كان الفيلبيون قد أرسلوها له وهو فى السجن . ولم يكن فى الرسالة كلها سوى ملاحظة توبيخ واحدة ، فقد أشار إلى مشكلة صغيرة حتى لا تتحول إلى مشكلة كبيرة ، فقال :« أطلب إلى أفودية وأطلب إلى سنتيخى أن تفتكرا فكراً واحداً فى الرب » . (أف٤:٢) . ومن الواضح أنه كانت هناك سيدتان بينهما اختلافات فى وجهات النظر . ويبدو أن هذا هو كل ما أشار إليه بولس ، ولكنه أراد أن يقضى على المشكلة تماماً قبل أن تنتشر فى الكنيسة كلها .

عندما تصبح تلال الركام جبالاً :

ماذا كان يمكن أن يحدث لو أن بولس تجاهل موقف أفودية وسنتيخى ؟ ماذا لو أنه قال لنفسه :«سأبقى هذا الحديث إلى رسالة أخرى مختلفة».ربما تمكنت هاتان السيدتان من استقطاب الكنيسة كلها فيصبح كل الأخوة والأخوات ضد بعضهم البعض .

أعرف كنيسة حدثت فيها مثل هذه المأساة . فقد وصلت سيدتان لهما قدرات ممتازة إلى قرب مواقع القيادة فى أنشطة السيدات فى هذه الكنيسة . فلما خلا مركز القائدة الرئيسية للسيدات تفجرت المنافسة بين هاتين السيدتين . وكانت القائدة السابقة قد نجحت فى فصل كل منهما عن الأخرى لتنهمك كل منهما فى عمل معين ،وهكذا عمل الكل فى انسجام معاً .

ولكن عندما بدأت السيدتان تتنافسان وتتسابقان على القيادة ، لم يخطر ببال أى منهما أنها تفعل شيئاً غير كتابى أو غير مسيحى . إلا أن الإختلافات بينهما ظلت تنمو وتتزايد حتى بدا الإنقسام واضحاً فى الكنيسة كلها . وفى النهاية حدد كل واحد من الناس لنفسه الجانب الذى ينحاز له . وكانت كل سيدة تقيس قوتها طبقاً للمكان الذى يختاره الناس للجلوس أثناء العبادة ؛ ففريق يجلس فى الجانب الأيسر ، بينما يجلس الفريق الآخر على الجانب الأيمن ؛ فى الوقت الذى كانت حفنة من المحايدين تتخذ لها ركناً قصياً من البناء ، بعيداً عن كل شخص آخر .

لو كان الراعى قائداً أقوى ، لكان قد اتخذ قراراً حاسماًبحل المشكلة ، ولكنه حاول أن يتجاهلها مدة طويلة . ولما رأى أن هذه الطريقة غير مجدية ، حاول أن يرضى الجانبين . وحينئذ انقلب عليه الجانبان وهاجماه وطالبا بإقالته .

ولما جاء خادم جديد ، حاول بدون حكمة أن يستند إلى تأييد جانب واحد فانقسمت الكنيسة . وانضم الذين تركوا الكنيسة إلى كنيسة أخرى قريبة وفى نفس الشارع . وظل هذ الخادم لبضعة سنوات تالية ، وفى معظم عظاته ، يهاجم أولئك الذين تركوا الكنيسة ويسميهم : « جماعة المنحرفين عن التقوى ، الذين ذهبوا إلى نور أقل » .

أو لم يكن من الأفضل لملكوت الله لو أن الراعى الأول كان قد نجح فى التوفيق بين السيدتين فى الأيام الأولى لتنافسهما ؟ كان يمكن توفير القدر الكبير

من الخراب والألم والمرارة لو أن الراعى الأول كان قد فهم هذا المبدأ البسيط ، وهو **المبدأ السادس عشر :**

« القادة الحكماء لا يدعون المشاكل الصغيرة تتحول إلى مشاكل كبيرة » .

الجزء الخامس

مستقبل القيادة

الفصل السابع عشر

من أين يأتى القادة ؟

أتعجب أحياناً عندما أفكر فى التلاميذ الإثنى عشر الأصليين . ترى هل اختارهم يسوع لأنه كانت لهم مواهب القيادة وإمكانياتها ، ثم تولى هو تنميتها فيهم ؟ أم أنه إنتقاهم بطريقة عشوائية من بين الرجال « الهامشيين » ، ثم أضفى عليهم قدرات ومواهب خاصة ؟ . إن الذى حدث بعد يوم الخمسين أن هؤلاء الرجال قد أبدوا شجاعة جديدة وفصاحة فى الكلام ـــ الأمر الذى لم يظهروه من قبل ، ولكن ما الذى كان لديهم فى البداءة ؟

لا أعرف إجابة قاطعة لهذا السؤال . ولكنى أظن أن التلاميذ كان لديهم بعض صفات القيادة قبل أن يدعوهم يسوع ، فاندراوس ـــ على سبيل المثال ـــ جند أخاه حالاً بعد أن التقى بيسوع ، الأمر الذى يبين القدرة والإمكانية . ويبرز بطرس بسرعة كرجل متقد الذهن ، طلق اللسان ، وله بصيرة روحية تلمع فى المناسبات . وفى كلتا الحالتين حول الرب ضعفاتهم إلى قوة .

وبالمقارنة ، سنجد كثيراً من خيبة الأمل فى دوائر العمل وفى الكنيسة عندما نتحدث عن القيادة . وسنواجه بالإعتذارات والتبريرات طوال الوقت . وفى معظم الأحيان تسمع القادة يئنون وهم يقولون :«لست أجد أى واحد فى الكنيسة(أو المؤسسة أو الشركة أو النادى أو مدارس الأحد) ممن يمكن أن يحملوا المسئولية ».

ويقلقنى شيئان عند سماع هذه العبارة : أولاً ، أن القادة لا يبحثون عن قادة جدد فى الأماكن أو المواقع الصحيحة . وثانياً ، أنهم ربما يضعون معايير

أو مقاييس خاطئة فى بحثهم . فدعنا نفحص هاتين الفكرتين :

البحث فى الأماكن الخاطئة :

يقدر بعض خبراء القيادة أن حوالى عشرة فى المائة فقط من أى جماعة هم الذين تبدو عليهم إمكانيات ومواصفات القيادة . ومن بين هؤلاء الخبراء Chuck Olsen الذى يعتبر حجة فى القيادة الكنسية والمجموعات الصغيرة ، وقد سافر وتنقل كثيراً بين الكنائس فى الفترة بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٨٠ ، وراقب أكثر من ألف جماعة من الطوائف الكبرى ، وقال فى ختام دراساته :

« مهما بلغ كبر حجم الجمهور ، فإن المجموعة القيادية لا تزيد عن حوالى خمسة وستين أو سبعين شخصاً » .

ولكنه لم يدافع عن هذا القول باعتباره مبدأ يوافق عليه ؛ فهو لم يحب ذلك ؛ بل إنه يحث القادة على العمل على تغييره . ولكنه قال إن ما ذكره كان هو الحقيقة .

ويبحث معظمنا عن القيادة بين أولئك الذين برزوا بالفعل ووصلوا إلى مواقع المسئولية . ونحن نتقبل المثل القائل : « إذا أردت إتمام عمل ما ، كلف به شخصاً مشغولاً » . وهذا القول صحيح ــ ولكن إلى حين . ذلك لأن الذى يحدث فى مؤسسات كثيرة ، على أية حال ، وخصوصاً فى الأماكن التى تعتمد على الخدمات التطوعية مثل الكنائس ، أننا نطلب من أولئك المستعدين للمعاونة دائماً ، ونكلفهم ، ونلح عليهم ، ونثقل كواهلهم ، ونرجوهم حتى نستنفدهم ونستهلكهم تماماً . وحينئذ يتقاعدون ، أو يؤدون الخدمة دون مبالاة ، أو يتعلمون كيف يجدون المبررات التى يلتمسون بها الأعذار لأنفسهم لكى لا يقوموا بعمل أكثر . وأحياناً يتركوننا فجأة ويلتحقون بجماعات أخرى .

رؤية الأشياء بإدراك صحيح لأهميتها :

إن كل الناس حولنا لديهم مواهب وإمكانيات للقيادة كامنة فيهم ، ويمكننا تنميتها . ولكننا عادة ننتظر حتى يظهر قادة يثبتون جدارتهم . ولكن هذا الإنتظار قد يكون ضاراً .

فلنتأمل مرة أخرى اختيار يسوع لتلاميذه ؛ عند أول إشارة للتلاميذ فى البشائر لا نرى قدرة كبيرة فى معظمهم . ربما كان لاوى (متى) أكثر إمكانية من الآخرين لأنه كان يقوم بجمع الضرائب ، بينما كان بطرس ويعقوب ويوحنا — من ناحية أخرى — يكسبون رزقهم عن طريق الصيد . لكنهم لو كانوا يجيدون الإدارة ربما كانوا قد استطاعوا أن يمتلكوا أسطولاً من القوارب .

وبعبارة أخرى ، فإننا لا نعرف إلا قليلاً عن خلفية التلاميذ فى القيادة . وربما أحس كتاب البشائر بعدم أهمية تسجيل مثل هذه المعلومات ؛ إلا أن المفهوم الكتابى الذى له مغزاه بعد كل هذا ، هو أنه لا يهم ماذا كنا — ولكن ما يمكن أن نصبح عليه . ولقد أصبح كل هؤلاء الرجال قادة ، بعد أن دربهم يسوع .

اكتشاف القيادة :

إن يسوع لم ينتظر حتى تقدم القيادة نفسها ؛ ولم يصدر أمراً إدارياً بعقد اختبارات للمرشحين للقيادة ، ولم يعمل مواصفات معينة لهم ، ولم يطلب من التلاميذ أن يكتبوا مجملاً عن مؤهلاتهم . ولكنه ببصيرته التى لا يمكن أن تخيب ، رأى الطاقات الكامنة فى كلّ منهم . فاختارهم وقال لكل منهم : « تعال ، اتبعنى » .

ويحدث كثيراً أن القادة لا يدركون أنه فى كل جماعة ، يوجد عدد كاف من الناس يمكنهم أن يحققوا احتياجات القيادة . وهذا مثال من إحدى الكنائس الصغيرة :

كان هانسون القائد البارز فى الكنيسة . وكان معروفا أنه هو أهم وأقوى شخص فى الكنيسة . وكما هو الحال فى معظم الكنائس ، كان ينظر إليه باعتباره القائد الوحيد . وكانت زوجته أيضاً مسئولة عن كل الأنشطة المتعلقة بالسيدات .

وكان الاثنان معاً بمثابة العمود الفقرى للكنيسة ؛ وعندما كانت تبرز حاجة لشيء ما ينبغى أن يعمل ، كان كل ما يفعله الراعى أو الأعضاء هو أنهم يكلفون هانسون وزوجته به ، وإذا بكل شيء يعمل على الوجه الأكمل .

ثم حدثت مفاجأة هزت كل شيء . بدأت زوجة هانسون تشعر بمتاعب صحية دعت الطبيب أن ينصحها بالانتقال إلى مكان مناخه دافىء ، حيث تستطيع أن تجد راحة من آلامها الجسدية . وهكذا ، بعد أن ظلت تعانى سنين من الأجواء الباردة جداً فى الشتاء ، إضطر الزوجان أن ينتقلا إلى ولاية أخرى حيث الجو دافىء .

وقد شعرت الكنيسة بخسارتها العظيمة حتى قبل أن يرحلا . ورأى الراعى ، ربما أكثر من أى شخص آخر ، الفراغ الكبير الذى سيخلفانه . وسأل نفسه مراراً وتكراراً : « ماذا نفعل ؟ »

وقبل أسبوعين من سفر هانسون وزوجته ، وجه الراعى نداء من المنبر يقول فيه : « توجد عدة أعمال كان الأخ هانسون وزوجته يقومان بها هنا . ونحن نحتاج إلى أناس يتطوعون لملء فراغهم وتسلم مسئولياتهم » .

وكم كانت دهشة الراعى عندما وجد استجابة الناس لهذا النداء . وفى الوقت الذى غادرت فيه عائلة هانسون المدينة تقدم ثمانية أشخاص لكى يحتلوا أدوار القيادة فى الوظائف والخدمات التى كان يقوم بها الأخ هانسون وزوجته . وفيما بعد أدرك الراعى كثيراً من الدروس القيمة التى تعلمها من هذا الاختبار وظل يرويها فى مرات ومناسبات كثيرة على هذا النحو :

١ ــ لا يوجد شخص يمكن أن يعتبر لا غنى عنه فى عمل ملكوت الله .
٢ ــ إن الناس قد لا يتعرفون على قدراتهم القيادية إلى أن يكتشفهم شخص ما فيعطيهم الفرص .
٣ ــ إن القيادة تبرز عندما يتقبل الناس الفرص لتنمية أنفسهم .
٤ ــ إن الناس يظهرون فى مواقع القيادة عندما يعرفون أنهم مطلوبون .
٥ ــ إن معظم القادة يتعلمون بممارسة الوظيفة .

التدريب على القيادة أثناء ممارسة العمل :

لقد علّم يسوع تلاميذه عن طريق إلقاء المواعظ عليهم وكذلك عن طريق قدوته ومثاله . ولقد أشار لهم إلى المستقبل عندما سيكونون وحدهم بدونه . بل إنه فى الواقع أرسلهم قائلاً : « كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا » (يو ٢٠ : ٢١) .

وقد كان رحيله عنهم يعنى أنهم لا بد أن يعودوا إلى تدريب أنفسهم ، وإلى استخدام قدراتهم الشخصية ، وإلى التطلع للروح القدس طلباً للهداية والإرشاد . لقد وجدوا أنفسهم أمام اختيارين : إما أن يقودوا ، أو يتركوا العمل والمسئولية .

وعلى سبيل المثال ، إجتمع الجمهور حولهم فى يوم الخمسين بعد حلول الروح القدس . وكان الناس يتساءلون فى حيرة « ما عسى أن يكون هذا ؟ » . فوقف بطرس بهذه المناسبة وألقى عظة من أعظم العظات فى التاريخ .

وبعد بضعة أيام أمرهم الرؤساء والشيوخ ألا يعظوا الناس أو يكلموهم أو يعلموهم باسم يسوع . ولكنهم ، استمروا فى تقديم الرسالة . وعندما أحضر بطرس ويوحنا للمحاكمة قالا : « إن كان حقا أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا . لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا » . (أع ٤ : ١٩ ــ ٢٠) .

ويتفجر أمامنا فى سفر الأعمال ، المثال تلو المثال ، عن جرأة التلاميذ وجسارتهم وهكذا تحقق إثمار القيادة بعد ثلاث سنوات من قول يسوع لهم : « اتبعنى » .

ويعطينا الكتاب المقدس والتاريخ صورة جزئية عما حدث للرسل : قتل هيرودس يعقوب أخا يوحنا بالسيف ؛ واستمرت خدمة بطرس العظيمة ؛ ومن الواضح أن توما أصبح رسولاً للهند وللشرق الأقصى ؛ وأسس الشاب مرقس الكنيسة القبطية ، كنيسة الإسكندرية ، والتى أصبحت فيما بعد طليعة المسيحية لمدة مائتى عام . كما سافر الرسل الآخرون أيضاً فى كل العالم المعروف فى ذلك الوقت كارزين بالإنجيل .

وبالنسبة للناس فى ذلك العصر ، لم يكن مظهر التلاميذ يدل على أنهم هم المجموعة التى يستخدمها الله . ولكن يسوع رأى فيهم شيئاً خاصاً ، ونمّى يسوع « هذا الشيء » فيهم عن طريق تدريبهم أثناء قيامهم بالعمل .

معرفة الناس :

ربما لا توجد صفة تساعد على اختيار وتنمية القادة أكثر من تلك التى نسميها البديهة أو البصيرة النافذة . ولقد برهن يسوع على قوى بصيرته بعبارات كتلك التى نطق بها فى العلية بعد أن غسل أرجل التلاميذ : « الذى قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله . وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم . لأنه عرف مسلمه . لذلك قال لستم كلكم طاهرين » (يو ١٣ : ١٠ ، ١١) .

لقد عرف يسوع ما فى نفوس الناس ـــ الطيبين والأشرار (يو ٢ : ٢٣ ـ ٢٥) . لقد عرف يهوذا وشر قلبه ؛ كما عرف يوحنا ويعقوب ونثنائيل ورأى إمكانيات القيادة فيهم .

كيف نختار القادة ؟

أين وكيف يمكن أن نجد قادة جدد ؟

هاك عدة اقتراحات مؤسسة على مبادىء كتابية :

١ ـ اختر الأمناء :

فى مثل الوزنات الذى ذكره يسوع فى الأصحاح الخامس والعشرين من إنجيل متى ، مدح السيد عبده الأمين الذى استثمر وزناته وربح قائلاً :

« نعما أيها العبد الصالح الأمين . كنت أميناً فى القليل فأقيمك على الكثير » (مت ٢٥ : ٢٣) . وبعبارة أخرى ، الذى يستطيع أن يكون أميناً فى القليل سيكون أميناً فى الكثير .

إذا وجدت بعض الذين يقومون بالأعمال الصغيرة خلف الستار أو وراء الكواليس ، ستكتشف أن مجالات مسئولياتهم قد تكون محدودة جداً ، مثل حصر الحاضرين فى فصل دراسى ، أو عمل القهوة بعد الاجتماع ، أو مساعدة الآخرين عندما يسمح الوقت . ولكن عندما يشعر هؤلاء الناس بتقدير لهم إزاء هذه الخدمات الصغيرة التى يؤدونها بأمانة ، قد يرغبون فى زيادة مسئولياتهم . وفى كل مرة يقومون بعمل جديد بصورة جيدة يتشجعون أكثر للتقدم خطوة أقرب نحو القيادة .

٢ ـ صلّ طالباً الحكمة :

وقد يبدو هذا أمراً واضحاً ، ولكننى ألاحظ أنه عندما يحتاج القادة إلى مجندين للعمل ، فإنهم يبدأون كلامهم بهذا التساؤل : « من يتطوع للقيام بهذا العمل ؟ من سوف يلبى النداء ، ولا يخيب انتظارنا ؟ » . أى أنهم لا يبدأون بالتحدث مع الله .

أعرف كنيسة فوجىء راعيها والمشرف على مدارس الأحد بها بإحصائية

مخيفة ، وهى أن أكثر من نصف المدرسين البالغ عددهم واحد وعشرين مدرساً سيتركون فصولهم قبل شهر سبتمبر . وقد علم الراعى والمشرف بذلك فى أول شهر مايو ، وكان رد الفعل عندهما هو إحساسهما بالذعر . وفكرا فى أناس يمكن أن يرجواهم أو يجبراهم على التدريس فى مدرسة الأحد .

وحينئذ قال واحد منهما : « دعنا نصلى قبل أن نتسرع فى إجراء كهذا » . ثم صليا واتفقا على أن يستمرا فى الصلاة لمدة يومين قبل أن يلتقيا ثانية . وبعد يومين كان إحساسهما بالذعر قد انتهى ، ودبرا خطة للبحث عن أناس لهم القدرة على التعليم . واستطاعا خلال شهر يونيو أن يدبرا عدداً من المدرسين كافياً للخريف . كما أنهما تعلما درساً قيماً .

٣ — تذكر أنه لا يوجد أناس « بلا وزنة أو موهبة » . إن كنائس كثيرة اليوم ، أصبحت فجأة تعى مفهوم المواهب الروحية (رو ١٢ : ٣ — ٨ ؛ ١ كو ١٢ ؛ ١٤ ؛ أف ٤ : ٧ — ١٦) وتتعلم كيفية ممارستها عملياً . وقد وجد عدد كبير من القادة أنها ممكنة على أساس أنه لا توجد كنيسة يمكن أن يكون أعضاؤها بلا وزنة أو موهبة .

وبغض النظر عن الطريقة التى يمارسون بها المواهب ، فإن المهم ليس مجرد إنجاز عمل الكنيسة بل مساعدة المسيحيين على إبراز هويتهم واستخدام القدرات التى أعطاها الرب لهم . أو كما قال أحد الرعاة فى رسالة له عن المواهب الروحية : « استخدمها وإلا فقدتها » .

عينت إحدى الكنائس لجنة من عشرة أشخاص يتميزون بسعة الحيلة والبراعة . فقسمت هذه اللجنة قائمة أسماء أعضاء ومترددى الكنيسة وقامت بزيارتهم فى بيوتهم وأماكن عملهم وتحدثت إليهم عن وزناتهم ومواهبهم الروحية . ولم يسمحوا لأى واحد أن يشعر بأن « الله قد أغفله » فلم يمنحه موهبة .

وقد أراد هؤلاء العشرة لا أن يشجعوا الأعضاء على اكتشاف قدراتهم فقط ، بل أيضاً أن يستخدموها . وكما قال أحد الأعضاء : « إذا كانت كل كنيسة هي جسد حقاً ، لا عجب أن توجد مشاكل كثيرة في الأعضاء . وكيف يمكن أن يكون لك جسد يقوم بوظائفه مائة في المائة بينما تنقصه رجل أو عين أو حتى أجزاء صغيرة مثل مفصل المرفق أو الركبة ؟ . عندما تقوم كل أعضاء الجسد بوظائفها ، يستطيع الجسد أن يعمل بصورة كاملة وجميلة » .

٤ ــ اشهد عن القادة الذين تختارهم وثبتهم :

ليس لدينا أي تسجيل يفيد أن يسوع كان يتحين الفرصة كل يوم ليمدح تلاميذه ويثني على صفاتهم القيادية . ولكننا نعلم أنه شهد عن أولئك الذين عاشوا حياة البر ، فقال لهم : « أنتم طاهرون ولكن ليس كلكم » (يو ١٣ : ١٠) وفي ليلته الأخيرة معهم قبل القبض عليه ، قال لهم : « أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به . لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده . لكن قد سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي » (يو ١٥ : ١٤ ــ ١٥) . وبعد قيامته أرسل يسوع رسله (يو ٢٠ : ٢١) . وفي آخر مناقشة له مع تلاميذه ، بحسب رواية بشارة يوحنا ، ثبّت خدمة بطرس وأكدها ، بالرغم من إنكار بطرس السابق ليسوع . وقد سأل المسيح بطرس ثلاث مرات : « أتحبني ؟ » . وفي كل مرة كان يضيف له أمراً : « إرع خرافي » (يو ٢١ : ١٥) ؛ « إرع غنمي » (عدد ١٦) ؛ وأخيراً : « إرع غنمي » (عدد ١٧) .

وليس في وسعنا أن نعرف كيف نمت وعظمت قيادة التلاميذ إلا إذا تابعنا القصة كما جاءت في سفر الأعمال . لقد استخدمهم الله لكي يغير بهم العالم . ولعل هذا وحده ، يكفي ليبين أن طريقة يسوع في اختيار وتعليم قادته هي

طريقة فعالة ومجدية . وهذا أيضاً يؤكد المبدأ السابع عشر من مبادىء القيادة وهو أن :

القادة يختارون ويجهزون بواسطة الله نفسه ، وما علينا إلا أن نكتشفهم ونعمل على تنميتهم .

الفصل الثامن عشر

تحويل التابعين إلى قادة

منذ فترة قريبة درست إنجيل يوحنا من الأصحاح الثالث عشر إلى الأصحاح السابع عشر ، لأنى أردت أن أتأمل وأفكر فى الكلمات الأخيرة التى قالها يسوع للتلاميذ قبل القبض عليه . إن ما قاله كان أكثر من مجرد كلمات وداع ؛ لقد كان خلاصة ثلاث سنوات من التلمذة له . وكان قد ظل فترة طويلة يخبرهم بلطف أنهم سوف يواجهون أنفسهم بدون وجوده الجسدى معهم . وها هو الآن وقد وعدهم أن يرسل لهم المعين ، الروح القدس .

ولابد أنه كان من الصعب على هؤلاء التابعين أن يفهموا كلمات يسوع ؛ كما أن كثيراً مما قاله لهم لم يكن ممكناً أن يفهم إلا فيما بعد . وربما لم يكن الأمر سهلاً بالنسبة ليسوع أيضا ؛ فقد عمل مع التلاميذ ، وعلمهم ، وعاش رسالته قدامهم يوماً فيوماً . وكانوا على وشك أن يبدأوا مرحلة من حياتهم يعيشون فيها بدون وجوده الجسدى معهم .

ولكن التلاميذ واصلوا حياتهم بنجاح . ونستطيع اليوم أن ننظر إلى أسلوب يسوع فى القيادة ونشكره لأجله ، فلقد حث أتباعه للسير قدماً إلى الأمام دون أن ينتظر منهم طلباً للمسئولية أو للمركز أو للوظيفة .

وبالمقارنة مع هذا ، فإنى أعرف كثيراً من العلاقات بين القادة والتابعين والتى بدأت بداءة طيبة ولكنها فيما بعد تعرضت للعطب والفساد والنكد . حدث مثلاً أن شيخاً لطيفاً تقياً اسمه تشارلس اختار شاباً متجدداً اسمه دافيد وقال له : « أود أن أعمل معك وأن أدربك على تحمل مسئولية القيادة فى كنيستنا » . ووافق الشاب على ذلك.

واصطحب الشيخ دافيد معه عند زيارته للمرضى فى المستشفى ، وعند جولاته الكرازية ، وعند عمل أى شيء كان يشعر أنه سيساعد دافيد على النمو كشاب مسيحى . وكان تشارلس يعلم فصلاً كبيراً فى مدرسة الأحد ، وعمل بصبر على تدريب القدرات التعليمية لدى دافيد وأثناء ذلك توطدت العلاقة بين الإثنين حتى صارت كعلاقة الوالد مع إبنه .

وقد يبدو كل ذلك حسناً ، أليس كذلك ؟ وكان ذلك بالفعل لمدة حوالى ثلاث سنوات . ولكن حدث أخيراً أن دافيد أراد أن يفعل أشياء بحريته الشخصية . أراد أن يفكر لنفسه ، وأن يتخذ قراراته الشخصية الخاصة بخدمته بين الجمهور . كان يشعر أن تشارلس قد دربه وعلمه جيداً ؛ وشعر أنه يحتاج إلى أن يمارس عملياً مهارته التعليمية . وفى نفس الوقت كان يشعر بالحياء والخجل فى مجال الزيارات ، ولم يعتقد أنه ينبغى أن يحاول تركيز جهوده فى ذلك المجال .

وتصدعت العلاقة بينهما عندما حاول تشارلس أن يعطل دافيد عن اتخاذ قراراته الشخصية . فقد كان يوجه حياة دافيد ، ولم يرد أن يفرط فى ذلك — مع أنه لم يكن يعترف بذلك . وأخيرا ترك دافيد الكنيسة ، والتحق بكنيسة أخرى ، وسرعان ما احتل بها مركزاً قيادياً .

وقد تأثر تشارلس لذلك وجرحت مشاعره . فقد شعر بأن الرجل الذى دربه قد خذله وتنكر له . وللأسف لم يفهم هذا المبدأ الأخير الذى نتعلمه من حياة يسوع ، وهو المبدأ الثامن عشر . **القادة يتلمذون آخرين وهم بدورهم يصبحون قادة يتلمذون آخرين .**

اعداد آخرين ليتسلموا القيادة وليواصلوا المسيرة :

هناك سمة واحدة تميز القادة الصالحين ، وهى أنهم يعدون آخرين لتسلم القيادة . إنهم لا يكتفون بمجرد أعداد تابعيهم « ليعلموا حسناً » ، ولكنهم

يعدونهم ليعملوا كل شيء يقومون هم أنفسهم بعمله . وقد لايكون هؤلاء الخلفاء بنفس المستوى ؛ وقد لا يتمكنون من إجادة الأدوار المعدة لهم ، أو قد يتفوقون على معلميهم وناصحيهم .

وقد عمل يسوع على تحقيق هذا الهدف الأخير مع جماعة التلاميذ الذين جندهم — علمهم ، ودربهم ، ووبخهم ، وبناهم ، وأرشدهم إلى الطريق . وقال لهم هذه العبارة التى لها مغزاها : « الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها لأنى ماض إلى أبى » . (يو ١٤ : ١٢) . وهذا جزء من مبدأ إعداد القادة — وهو تعليم التابعين لكى يتفوقوا على معلميهم .

منذ سنوات سمعت متحدثاً مسيحياً ، يضع مبدأين لتكوين القادة :

١ — أعط الآخرين مسئولية قبل أن يكونوا مستعدين لها . ولم يكن يعنى بذلك أننا نُكرِه الناس على المراكز الأعلى وندفعهم إليها دفعا بعدم مبالاة أو إكتراث . ولكنه كان يعنى أن أفضل طريقة لتدريب الآخرين هى أن نجعلهم يمتدون ويتوسعون ؛ فقبل أن يكونوا مستعدين لشغل الوظيفة ، أعطها لهم . حاول أن تجعل الوظيفة أو العمل أكبر مما هم عليه . وحينئذ يضطرون للنمو ليصلوا إلى المستوى اللائق .

٢ — أعط من تتوسم فيهم إمكانيات وطاقات القيادة — أعطهم كل شيء قبل أن يطلبوا . وشرح المتحدث ذلك بقوله : « إننا نضمن استمرار المسيرة عندما نعطى الفرصة للآخرين ونفتح لهم المجال . فإذا كان القائد يحجم ويتوقف حتى يشعر أن التابع مستعد لتسلم القيادة ، فإن التابع قد يطلب المركز بنفسه . وعندما يحدث هذا فإن كل واحد يجد نفسه لا شعورياً فى موقف دفاعى وحذر . فلماذا لا نجهز التابعين ليشغلوا مواقع القيادة قبل أن يعرفوا أنهم يريدونها ؟

وهكذا يمكن أن يتم الانتقال والتحول فى دوائر العمل ، والكنيسة ، والعائلة . إن استمرارية نقل المسئولية يتطلب التخطيط الدقيق . فهناك ، على سبيل المثال ، قادة إحدى المنظمات المسيحية ، الذين يفضلون أن يجروا حركة الترقيات من داخل المنظمة ؛ وقلما يلجأون إلى أناس خارجها إلا إذا تعذر عليهم أن يجدوا الناس الأكفاء من منظمتهم والذين يمكن تدريبهم ليكونوا مناسبين للوظيفة أو المركز . وبالفعل كان من النادر جداً أن يضطروا للجوء إلى أناس من خارج منظمتهم الخاصة . ونتيجة لذلك ، كان الموظفون فى هذه المنظمة يعرفون أن رؤساءهم يدركون ويعترفون بوجود الإمكانيات والطاقات فى كل واحد منهم .

مبدأ الإحلال :

تقاعد أحد الرعاة بعد أن ظل تسعة وعشرين عاماً يرعى ثلاث كنائس مزدهرة وناجحة . وتضاعف عدد المترددين على كل كنيسة خلال سنى وجوده هناك . وبمناسبة تقاعده أقام أصدقاؤه والذين تجددوا خلال خدمته ، عشاء خاصاً .

وفى حفل العشاء ، وقبل أن يلقى الراعى رسالته الأخيرة ، سأله أحد مساعديه السابقين وقال له : « إذ تترك الآن خدمتك النشيطة ، وتستعيد الذكريات ، ما هو أحسن شيء تشعر أنك أنجزته ؟ » .

وفكر الرجل المسن لحظة ، ثم لمع وجهه وقال : « هذا سؤال سهل ، لقد كان لى الامتياز العظيم أن أكون راعياً لسبعة وثلاثين شخصاً هم الآن يقومون بالخدمة المسيحية بصور مختلفة » . ولم يخبر أصدقاءه المجتمعين حوله كم تكلف من عناء أو تعب ليشجع هؤلاء السبعة والثلاثين شخصاً . ولكن الحقيقة هى أنه كان قد انتظر بحكمة حتى بادروا هم وبدأوا الحديث معه عن خدمة أعظم . وبمجرد أن فتح هؤلاء الناس الباب وأظهروا رغبتهم ليتفرغوا ويتكرسوا لخدمة

يسوع المسيح ، شجعهم ذلك الراعى فى كل خطوة فى الطريق .

ومرة أخرى ، على سبيل المثال ، كان أربعة أعضاء من شعب ذلك الراعى يدرسون للتفرغ للخدمة الدينية . كخدام مرتسمين . فلم يكتف فقط بتشجيعهم للكلام فى مواجهة الجمهور ، بل إنه فى الحقيقة رتب خدمات العبادة بطريقة تمكنهم من المشاركة فيها . فجعلهم فى البداية يقومون بأشياء بسيطة ، مثل قراءة الإعلانات أو قراءة فصول كتابية . ولما تعودوا على الكلام أمام الناس ، شجعهم الراعى بأن رتب لهم الفرص لقيادة بعض اجتماعات الكنيسة وسط الأسبوع، أو للوعظ فى إحدى الكنائس المحلية عندما كان راعيها يتغيب فى إجازة . بل إن ذلك الراعى نفسه كان يتغيب عن منبره أربعة آحاد فى السنة ، فكان يرتب لتلاميذه هؤلاء ، وهم فى فترة التدريب ، أن يعظوا فى تلك الأيام .

وهذا مبدأ كتابى . ففى العهد القديم نجد أن يشوع تعلم على يدى موسى . ولما أخذ الرب موسى ، أصبح يشوع هو القائد . وكان لإيليا خدمة عظيمة فى المملكة الشمالية ، ولما نقله الله إلى السماء أصبح أليشع بعده من أعظم أنبياء إسرائيل .

وفى العهد الجديد كان بولس دائماً يدرب آخرين . وفى كل رحلاته التبشيرية كان دائماً يصطحب عدة أشخاص . ومع أن يوحنا مرقس ، ابن أخت برنابا ، فارقهم فى منتصف الرحلة التبشيرية الأولى ، ولكنه فيما بعد صار أكثر مسئولية . وكتب بولس إلى تيموثاوس يقول : « خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع لى للخدمة » (٢ تى ٤ : ١١) . بينما اختار آخرون ، مثل ديماس » (٢ تى ٤ : ١٠) ، فيما بعد أن يذهب كل منهم فى طريقه الخاص .

ويبدو أن بولس تلمذ بريسكلا وأكيلا (أع ١٨ : ٢ ، ٢٦) ، وأنهما

تلمذا أبلوس (أع ١٨ : ٢٤ ـــ ٢٨) هذا هو المعنى الحقيقى للتلمذة ـــ تعليم التابعين ، حتى يتمكنوا بمرور الوقت أن يعملوا بدورهم آخرين . كما كتب بولس إلى تيمثاوس : « وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أماساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً » . (٢تى ٢ : ٢) .

وهكذا أمكن للإنجيل أن يدوم وأن يخلد . وهكذا أيضاً ينبغى أن تتتابع القيادة فى العمل والكنيسة والعائلة .

تدريب السعاة والرسل :

استخدم يسوع أربعة طرق على الأقل لتدريب تابعيه ليصبحوا قادة . ويمكن استخدام نفس هذه الطرق لإعداد القادة فى أى مجال :

١ ـــ تعليم المبادىء وقواعد السلوك :

وهذا هو مفهوم التدريب فى ذهن معظمنا ـــ تقديم المبادىء والمعلومات . واستخدم عالى هذه الطريقة مع صموئيل فى العهد القديم . فبعد أن جاء صموئيل كطفل إلى الهيكل ، بدأ ينمو تحت قيادة عالى . وعبر السنين علمه عالى دور الكاهن وما ينبغى عليه أن يعمله ، وأن يلبسه ، وأن يقوله . وجاء اليوم الذى حمل فيه صموئيل مسئولية وظيفة رئيس الكهنة للأمة اليهودية .

٢ ـــ التعليم بالقدوة والمثال :

إن التلاميذ يتعلمون ويستوعبون من شخصيات وأسلوب حياة معلميهم بنفس القدر الذى يتعلمونه من كلماتهم وأقوالهم . وفى الحقيقة ، يمكن لكثيرين من المربين أن يقولوا إن شخصية المعلم ذاتها أقدر على الاتصال والتأثير من أى شىء آخر .

ومنذ قرن مضى عرف Brooks Phillips الوعظ بأنه « الحق من خلال الشخصية » . وأعتقد أنه يوافق على أن الحق هو الحق ، بغض النظر عن شخص

قائله . لكن الحق أيضاً يأتى مغلفاً بشخصية المرسل والناقل . فإن الفرد وهو يقدم التعليم يمكن أن يقدم بمظهره وشخصيته واتجاهه نفس القدر الذى يقدمه عن طريق المادة نفسها .

وفى السيتنيات من هذا القرن قال Marshall Mcluhan شيئاً مماثلاً لهذا عندما قال للعالم : « إن الناقل هو الرسالة » . وكما نقول للمنافق والمرائى : « إن صوت أعمالك عال جداً لدرجة أنى لا أستطيع أن أسمع كلمة واحدة مما تقول » ، يمكن أن نقول للمعلم المستقيم : « إن حياتك تنطق بإيجابية لدرجة أننى أستطيع أن أسمع كل شيء تقوله لى .

ولقد كان يسوع مستقيماً وصادقاً . ولم يذكر لنا كتاب البشائر أن التلاميذ تشككوا فى صدق يسوع واستقامته وإخلاصه ، مع أنهم تساءلوا عن كل شيء آخر تقريباً .

إن الاستقامة والصدق هما الدعامتان اللازمتان لتقديم النموذج أمام المزمعين أن يكونوا قادة .

٣ ــ التوضيح بالنتائج :

عندما تحدث يسوع مع ناقديه ، طلب منهم أن يؤمنوا به . ثم قال : « إن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فىّ وأنا فيه » يو ١٠ : ٣٨ . وقال فى مرة أخرى : « الأعمال التى أعطانى الآب لأكملها ــ هذه الأعمال بعينها التى أنا أعملها ــ هى تشهد لى أن الآب قد أرسلنى » (٥ : ٣٦) .

٤ ــ الإشارة إلى شهادة الآخرين :

أشار يسوع إلى يوحنا المعمدان باعتباره شاهداً لخدمته . وعندما عدد بولس قائمة بالمواصفات والمؤهلات التى ينبغى أن تتوافر فى الأسقف أو الناظر ، قال :

« ويجب أيضاً أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج لئلا يسقط فى تعيير وفخ إبليس » . (١ تى ٣ : ٧) .

نعم ، فحتى شهادة غير المسيحيين يمكن أن تساعدنا على النمو نحو القيادة . إننا نحتاج أن نذكر أنفسنا أن أولئك الذين هم خارج دائرة إيماننا ، غالباً يراقبون شعب الله بأكثر تدقيق ، وأحياناً بميل إلى الإدانة والانتقاد . فإذا كان القادة المؤمنون فى دوائر العمل ، أو المدرسة ، أو الكنيسة ، يعيشون حياة الإيمان المسيحى بإخلاص وأمانة ، لا يجد غير المؤمنين مفراً من الاعتراف بأمانة أولئك القادة ، مع أنهم يفعلون ذلك أحياناً بضغينة وحسد .

وقد ذُكّر راع صديق بهذه الحقيقة عندما جاءه محرر جديد لإحدى المجلات الأسبوعية وقال له : « أردت أن أعمل لقاء مع شخصية ، فبدأت أسأل : « من هو أكثر الوعاظ تأثيراً فى البلاد ؟ » وإذا بكل واحد تقريباً يعطينى اسمك . وكنت أعد للقاء الثانى ، فسألت سؤالاً آخر : « لو أنه كان هناك شخص واحد فقط يمكنك أن تثق فيه ، خارج دائرة أقربائك وأصدقائك المقربين ، فمن هو هذا الشخص الواحد الذى يمكنك الالتجاء إليه فى كل البلاد » . وإذا بكل واحد تقريباً يعطينى إسمك أيضاً » .

وعندما سمعت تلك القصة ، فكرت فى ذلك التأثير العظيم الذى كان لحياة وتكريس ذلك القائد على مجتمعه . ولابد أن ثمار ونتائج خدمته ستبقى لفترة طويلة بعد رحيله . لقد أعد الآخرين بأن علمهم ، وبأنه عاش عملياً ما كان يعلمهم به . لقد كانت النتائج وشهادات المسيحين وغير المسيحيين على حد سواء خير شاهد على صدق وفاعلية الحق الذى كان يعلمه .

أى تراث يمكن أن يحلم أى قائد بتركه لتابعيه أفضل من هذا التراث ؟

مبروك ، تهانينا للخريجين !

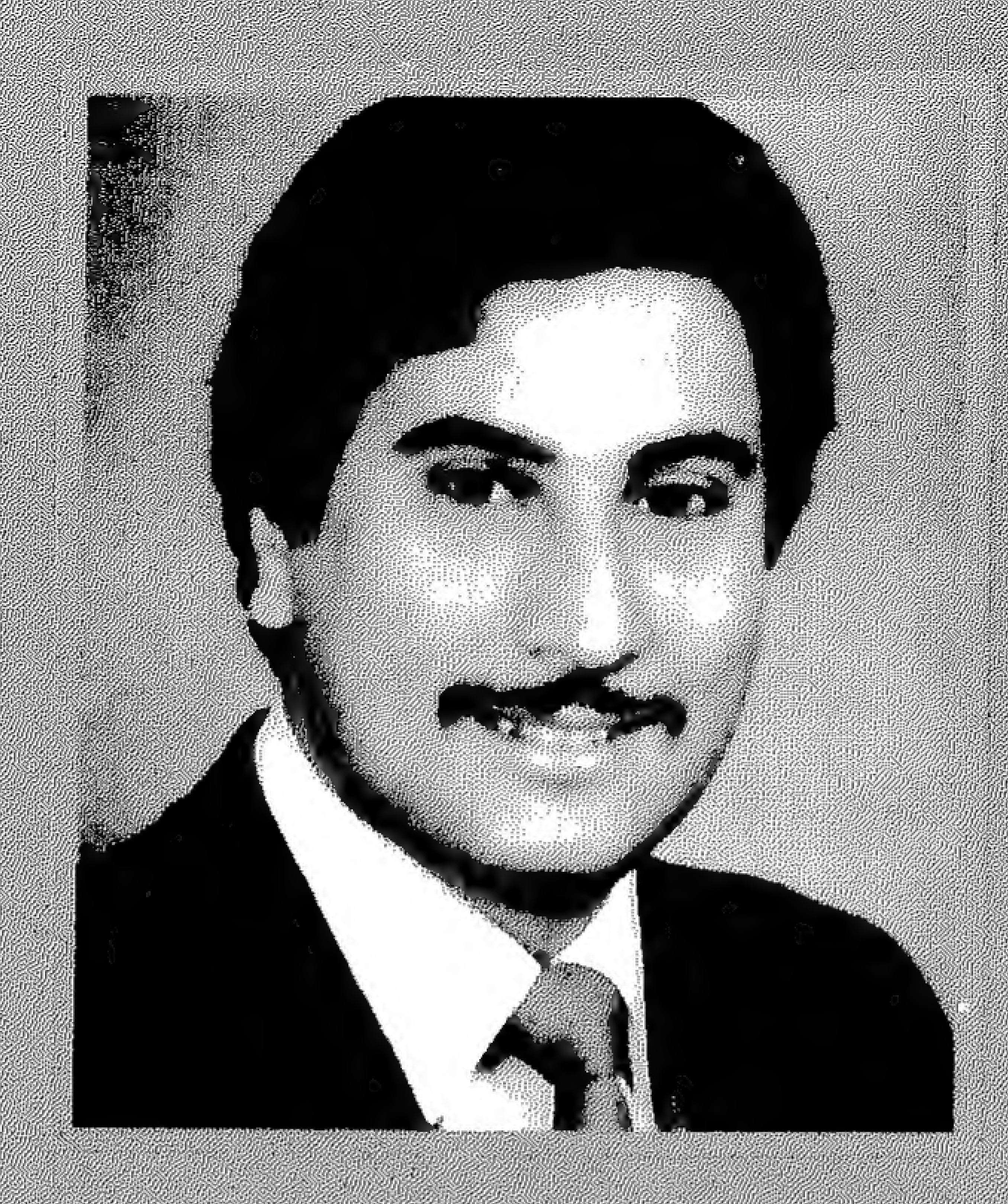
كل دورة تدريبية لابد لها يوماً أن تنتهى . وعندئذ يتسلم الطلبة الدبلومات ،

أو الدرجات العلمية ، أو الشهادات . وأخيراً ينبغى أن يخرجوا للحياة ويحصلوا على وظيفة . ذلك لأنهم قد استكملوا الإعداد اللازم .

لو كان هناك شيء قريب من حفل التخرج للتلاميذ الأولين ، لكان ذلك ما حدث فى يو ٢٠ : ١٩ — ٢٣ . فبعد القيامة ، ظهر يسوع لتابعيه فى نفس العلية التى كانوا قد أكلوا فيها الفصح معاً . وقال لهم هذه الكلمات : « كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا » (عدد ٢١) . لقد انتهى الإعداد ؛ والآن عليهم أن يذهبوا إلى بقية العالم ويكرزوا بالإنجيل .

وهذا هو هدف تدريب الآخرين — ليكونوا قادة يدربون آخرين ، ليصبح هؤلاء أيضاً قادة يفعلون نفس الشيء . ولقد بدأ يسوع هذا التكاثر بما فعله مع الإثنى عشر .

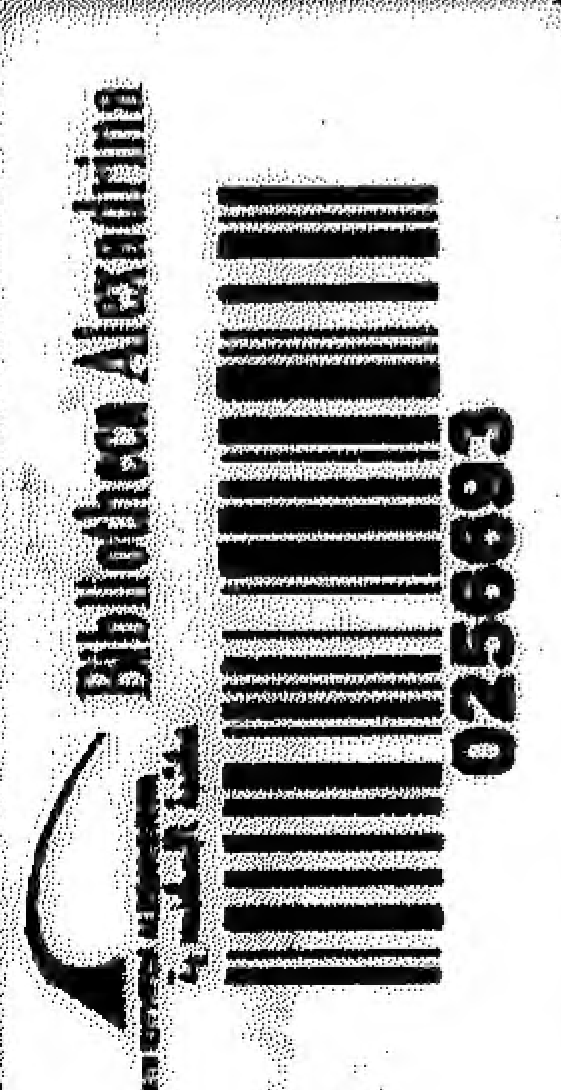
ألا ينبغى أن يكون هذا هو نفس الهدف لكل أساليب قيادتنا ؟



الكاتب فى سطور:

محاضر وواعظ فى مختلف دول العالم.

له عدة مؤلفات. ولد بأسيوط – مصر وسيم راعياً لكنيسة انجليكانية فى استراليا. ثم حصل على ماجستير فى اللاهوت من كلية فولر للدراسات اللاهوتية. والدكتوراه فى اللاهوت من جامعة إمرة. وهو مؤسس وراع لكنيسة
The Church Of The Apostles
وهى إحدى كبريات الكنائس بأطلنطا بولاية جورجيا بالولايات المتحدة الأمريكية.





١٠١٠٠٢٥٤